معهد سيّد الشهداء
للمنبر الحسيني

محمد عيسى عبروص

دروس في بناء المجلس الحسيني

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

دروس في بناء
المجلس الحسيني

معهد سيد الشهداء(عليه السلام) للتبليغ والمنبر الحسيني

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: دروس في بناء المجلس الحسيني

إعداد : نشر جمعية المعارف الإسلامية
ونشـــر: معهد سيد الشهداء (عليه السلام) للتبليغ والمنبر الحسيني
الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين المنتجبين،

«اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة»

يقوم المنبر الحسيني في عصرنا هذا بأدوار مهمة، ويتحمل أعباء كبيرة في تربية الأمة وإعدادها، وربطها بمفاهيم الإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى دوره التاريخي الهادف لإبقاء واقعة كربلاء حيّة متقدة في النفوس، تتجاوب معها الأرواح، وتنفعل بها المواقف «كل يوم عاشوراء، كل أرض كربلاء»، وينهض خطيب المنبر الحسيني بمهمّات ومسؤوليات غاية في الأهمية والحساسية.

وتعظم مسؤولية خطيب المنبر الحسيني في ساحتنا الإسلامية، إذ لم يعد هذا الخطيب مجرد ناعٍ يردد أبيات الرثاء، وقصائده بالأطوار الشجيّة والألحان المحزنة، وإن كان هذا الجانب هو جانب أساسي ومهم في مهمة خطيب المنبر الحسيني، بل أن جماهير المنبر الحسيني تتوقع من هذا الخطيب، أن يتناول موضوعات وأبحاثاً تغني الأمة، وتسهم في ربطها بدينها وشدّها إلى عظمائه، وتعين الإنسان المسلم على تلمّس طريق الخير والاستقامة.

إن لدماء سيد الشهداء عليه السلام والصفوة الشهداء معه، لها وقع واضح وتأثير بيّن على عواطف الأمة ومواقفها، وهذا ما يترجم في التجمّعات الجماهيرية الضخمة والحشود الحسينية اللافتة، التي تغص بها الساحات والشوارع والمساجد الضخمة والحسينيات الكبيرة، أيام عاشوراء في شرق الأرض وغربها.

إن الحسين عليه السلام وشهادته، قد جعلا الطريق ممهداً لخطيب المنبر الحسيني، أن يرتقي المنابر ويخاطب تلك الجموع، التي قد لا تتهيأ لأكابر المجتهدين وأعاظم العلماء، وهذه النقطة تشكّل مسؤولية شرعية كبيرة، وموقفاً دينياً يُسأل عنه خطيب المنبر الحسيني، في دقة ما يطرح على المنبر وحساسية كلامه وأبحاثه، وحرصه على نقاء الهدف وطهارة النيّة.

والأمة تنتظر من خطيب المنبر الحسيني، أن ينطلق من أيام عاشوراء ومواقف شهدائها، إلى معالجة الأمور التي تهم الإنسان المسلم، ويسعى لتهذيبه وتربيته وشده إلى قيم الشريعة التي ضحّى من أجلها سيد الشهداء عليه السلام.

وتختلف الساحات في مستوى وعي هذا الجانب، حيث نجد أن خطيب المنبر الحسيني في مجالس العراق وبلدان الخليج والمناطق العربية في إيران وكثير من المهاجر، هو المتحدث الأول والأخير ولا يشاركه غيره، ولهذا فالمسؤولية عليه هناك أوضح وأشد وأهم.

بينما تخفّ مسؤولية خطيب المنبر الحسيني في مجالس مناطق أخرى، حينما يشاركه متحدث أو خطيب آخر، ومع ذلك فإن ما

يطلب من خطيب المنبر الحسيني اليوم هو غير ما كان يطلب منه بالأمس - إذ كان دوره محصوراً في الجانب المأساوي من واقعة كربلاء - وما يُطلب منه غداً، مع اتساع مساحة الوعي وتعاظم التحدّيات على أنواعها، وتنوع المعالجات التي يتناولها، سيكون أعظم وبدون أدنى شك.

إذ أن مما يزيد في مسؤولية المنبر الحسيني من جهة وحساسيته من جهة أخرى، إتساع الدائرة التي يخاطبها خطيب المنبر الحسيني. فبعدما كانت المجالس الحسينية محصورة في الحسينيات والقرى أو المناطق والأحياء الضيقة، راحت اليوم تنطلق لتغطي مساحات هائلة عبر الإذاعة والتلفاز والقنوات الفضائية.

وعموماً فإن على خطيب المنبر الحسيني أن يراعي جانبين يشبع كلاً منهما في محاضراته ومجالسه.

الجانب الأول: جانب العاطفة الحسينية وإذكائها وبأسلوب فني مهذب، يراعي فيه كرامة أهل البيت عليهم السلام، في حسن اختيار الشعر المناسب وسرد المصيبة الملائمة وبالأطوار والأساليب الحزينة التي تسهم في البكاء والتباكي على الحسين عليه السلام، والذي ورد فيهما التأكيد من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

الجانب الثاني: جانب الفكرة والموعظة والطرح الذي ينبغي أن يوليه خطيب المنبر الحسيني اهتمامه ورعايته، وهذا منطلق من الفكرة الرائعة التي تقول: أن الحسين عليه السلام عَبرة وعِبرة، دمعة وفكرة ...

إن دروسنا في الحلقات القادمة ستتناول إن شاء الله تعالى فقرات المنبر الحسيني من حيث المقدمة التي يتميز بها عن بقية المنابر، ثم القصيدة التي يبدأ بها الخطيب مجلسه الحسيني عادة، وبعدها ندخل إلى فقرة:

المحاضرة والبحث الذي ينبغي على خطيب المنبر الحسيني أن يراعيه في مجالسه، ولا يبقى مجرد حافظ لأشعار الرثاء، ومردّداً لما يسمعه من ألسنة أو تسجيلات مشاهير الخطباء بل عليه أن يتعب نفسه في المطالعة والقراءة والمتابعة لكل ألوان الثقافة وأنواع المعلومات التي يمكن توظيفها في إعداد خطبة المنبر الحسيني ومحاضرته وتهيئتها فيما سنتوقف بعد ذلك عند فقرتي «التخلّص» و«المصيبة» في دروس أخرى.

إن على عاتق خطيب المنبر الحسيني مسؤولية كبيرة، ومهمة جليلة، إذ عليه أن يولى كلا الجانبين اهتمامه ورعايته، فهو من جانب يهيئ محاضرته ويكتب بحثه ويتعب نفسه في اقتناص الموضوعات واختيار الأبحاث، شأنه شأن كل محاضر وكاتب ومؤلف.. يزاد عليه اهتمامه بالجانب الفني في خطبة المنبر الحسيني، إذ عليه اختيار القصائد المناسبة من الشعر العربي الفصيح «القريض» والأشعار الشعبية ذات المضامين الجيّدة، إضافة إلى اختياره الطور المناسب والطريقة الملائمة في إنشادِ هذه الأشعار وقراءتها بالأساليب والأطوار التي يألفها المنبر الحسيني، والتي تسهم وإلى حد كبير في إذكاء العواطف وتهييج النفوس وتأجيج المشاعر، باتجاه الحسين عليه السلام

وشهادته وأحزانه كي يبقى ذلك التناغم الرائع بين الفكرة الرسالية والعاطفة الهادفة.

ولهذا فإن بين خطيب المنبر الحسيني وعموم الخطباء والمتحدثين، ما يمكن أن نطلق عليه نسبة العموم والخصوص مطلقاً في عرف المناطقة، حيث أن على خطيب المنبر الحسيني أن يسعى لإعداد محاضرة بكل شرائط نجاحها وجعلها ذات فائدة وعطاء ككل خطيب أو متحدث. ويزيد عليه اهتمامه بالجانب الفني والعاطفي في المنبر الحسيني، إذن فكل خطيب منبر حسيني هو محاضر ولكن ليس كل محاضر هو خطيب منبر حسيني.

وستتضح في الدروس القادمة الخطوات الأساسية التي نأمل أن تسهم في تسليط الضوء على الكيفية التي تمكّن خطيب المنبر الحسيني المبتدئ، وكل من يرغب بأن يكون من خدمة هذا المنبر وخطبائه، من إعداد وكتابة محاضرة مناسبة للمنبر ورسالته

إن هناك فروقاً، أكثرها فنية وعرفية «إذ أن للمنبر الحسينيّ تقاليد وأعرافاً خاصة به» تميز خطبة المنبر الحسيني عن أي محاضرة أخرى، وستتضح هذه الفروقات في دروسنا القادمة إن شاء الله تعالى.

أخي القارىء

إن هذا الكتاب دروس في بناء المجلس الحسيني يقع ضمن السلسلة التي يعدها معهد سيد الشهداء للتبليغ والمنبر الحسيني والتي تهدف إلى تأمين مواد دراسية ممنهجة، تهدف لاعداد الخطيب الحسيني المميَّز في شكل الخطابة ومضمونها

وفي إطار هذه السلسلة أصدر المعهد كتاب معين القراء في أطوار العزاء الذي لاقى رواجاً محموداً، على أمل إنجاز بقيَّة المتون التي يعدُّها المعهد.

معهد سيد الشهداء

للتبليغ والمنبر الحسيني

الدرس الأول

مراحل تطور المنبر الحسيني

قبل الدخول في موضوع فقرات المنبر الحسيني، والتوقف عند كل واحدة منها وبيان خصائصها ومواصفاتها، ولأجل وضع الطالب وعموم القرّاء على التطور الذي رافق المنبر الحسيني تاريخياً، فسنتوقف في درسنا هذا عند مراحل هذا التطور. وعموماً فيمكن لنا أن نقول: أن هناك نوعين من المآتم التي أقيمت على الحسين عليه السلام.

النوع الأول: المآتم العرضية

التي لم تكن قد أقيمت عن قصد مسبق وإنما صاحبت واقعة كربلاء وأيام السبي «من اليوم الحادي عشر من المحرم إلى عودة ركب السبايا إلى المدينة المنورة»، فقد أقيمت في كربلاء والكوفة وفي الطريق من الكوفة إلى الشام وفي الشام وفي كربلاء يوم الأربعين وحينما وصل ركب السبايا إلى المدينة.

هذه المآتم لم يُهيأ لها سابقاً، وإنما هيأتها وأعدتها طبيعة المأساة، طبيعة الجانب العاطفي في واقعة كربلاء الذي كان يجذب الناس ويفجر فيهم هذه الطاقة العاطفية الوهّاجة على شكل بكاء واستجابة طبيعية للحدث المؤلم. فقد ذكرت أمّهات المصادر التاريخية هذه المآتم، ويمكن مراجعة: تاريخ الطبري، تاريخ ابن الأثير، الأيام الطوال للدينوري وغيرها...

النوع الثاني: المآتم الهادفة

ونحن نريد أن نبحث عن جذور المنبر الحسيني الهادف، الذي أقيم عن تخطيط، أي كانت له دعوة مسبقة وتخطيط مسبق. إن هذا النوع من المآتم الذي نطلق عليه مصطلح «المآتم الهادفة» هو الذي سيكون مدار بحثنا.

أي سندرس تلك المجالس الحسينية التي بدأت بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهتم الأئمة عليهم السلام بإقامتها والدعوة إليها.

إذ يمكننا القول: أن الأئمة عليهم السلام أكدوا على خطين متوازيين في عملهم مع الأمة.

أولاً: خط البناء الفكري والعقائدي والفقهي «بيان أطروحة الإسلام الحقيقية».

ثانياً: خط الإذكاء العاطفي «التأكيد على إحياء واقعة كربلاء»

هذان الخطان المتوازيان واضحان في أعمال ونشاطات كل الأئمة عليهم السلام حيث أكدوا على البناء والتربية والإعداد وتثقيف الأمة. كما أكدوا عليهم السلام على الجانب العاطفي عبر واقعة كربلاء، لأن الفكرة إذا كانت مجرد فكرة بعيدة عن العاطفة فإن بالإمكان أن تُهزم أو تتحول إلى شيء فيه قسوة، لا يتفاعل القلب معه. إن وجود العاطفة الصادقة مع الفكرة الأصيلة يعني إحاطتها بوقاية ورعاية. كما يمكن القول كذلك أن العاطفة، إذا تجردت عن الفكرة فإنه يمكن لها أن تنحرف وتضيع. إذاً فكما تقوم العاطفة برعاية الفكرة واحتضانها، فإن وجود الفكرة الهادفة يعني توجيه العاطفة نحو الاتجاه الصحيح.

إن للعاطفة ذات البعد الفكري والعقيدي دور وأيّ دور في ظروف غياب الثقافة أو الاغتراب والابتعاد عن عطاء العلم والفكر.. فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أنه قد مرت ببلاد الهند سنين وأجيال لم يكن هناك حضور للحوزات العلمية أو العلماء، والشيء الوحيد الذي كان موجوداً هناك، والذي كان يربط الناس بالتشيع وبخط أهل البيت عليهم السلام، كانت مسيرة تنطلق يوم عاشوراء. إذ كانت هذه المسيرة الحسينية السنوية هي التي تربط الناس بهذه المدرسة المعطاء، وهكذا يبرز دور العاطفة التي تختزن مفهوماً فكرياً، في الحفاظ على هوية الأمة ومعالم شخصيتها. ثم عادت إلى قيادة الفكر والعلم بعد زوال تلك الحقبة وعودة العلماء وبروز الحوزات العلمية من جديد.

إن هناك أمثلة في تاريخنا، بل وفي عصرنا الحديث، عن محاولات قد هُيأت لها ظروف وتخطيطات مسبقة من أجل القضاء على الفكرة وإبادتها، ولكن ومع مجيء يوم عاشوراء وإذا بالفكرة تعود إلى عقيدة الأمة، فتسترجع هويتها وترتبط برموزها وتتجذر في انتمائها..

إن الإنشاد العاطفي له أثر كبير في ربط الإنسان بالفكرة، وكذلك فإن الفكرة مهمة جداً بالنسبة للعاطفة، لأن العاطفة بدون فكرة، قد تجعل لكل إنسان أسلوباً يترجم عاطفته من خلاله، وقد تكون بعض الأساليب لا تناسب مع أساس الفكرة وأبعاد العقيدة.

فهنا تتدخل الفكرة للحفاظ على كيفية إعطاء العاطفة لأبعادها وتوجيهها.

وهكذا فقد بدأت بيوت الأئمة عليهم السلام باستقبال الشعراء ثم

المنشدين، وأخذ الشيعة يفدون على تلك البيوت أو يسهمون في هذه المجالس.وذلك استجابة لحثّ الأئمة عليهم السلام وتأكيدهم على إقامة هذه المآتم، في تعليمات وتوجيهات حفلت بها كتب الحديث التي أجمع العلماء على تواترها وصدقها. وشهدت هذه المآتم - الهادفة- مراحل عدة في تطوّرها حتى وصلت إلى المستوى الذي نعيشه في أيامنا هذه.

ويمكن أن نُجمل المراحل التي مر بها المنبر الحسيني في تطوّره بما يلي:

١ - مرحلة التأسيس:

أي عمل الأئمة المعصومين عليهم السلام في الحث والتأسيس والتأكيد على مجالس الحسين عليه السلام واستمرت هذه المرحلة إلى نهاية الغيبة الصغرى«أي منذ سنة ٦١هـ لحدود سنة ٣٢٠هـ».

٢ - مرحلة بروز الدول الشيعية:

حيث جاء البويهيون إلى بغداد ونزلت مظاهر العزاء إلى الشوارع واعتبر يوم عاشوراء يوم تعطيل رسمي وذلك في سنة ٣٥٢ هجرية أيام معز الدولة البويهي. فقد كان المنبر الحسيني محصوراً في البيوت وفي الأحياء الشيعية المغلقة، ولكن مع مجيء البويهيين وسيطرتهم على بغداد، فقد برزت تلك المجالس ومواكب العزاء، وبشكل رسمي وواضح.

وهذا ما ذكره جميع الذين كتبوا في تأريخ بغداد في تلك المرحلة وقد اختلط الأمر إذ تصوّر بعض الكتّاب والمؤلفين أن المجالس أنشأها البويهيون ولم ينشأها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

إن المجالس الحسينية كانت موجودة قبل وصول بني بويه إلى بغداد بزمن بعيد، و لكنها كانت مخفية وتقام بصورة خاصة وضيقة، لأن الأمويين أولاً ثم العباسيين بعد ذلك لم يكونوا ليسمحوا بانتشار هذه المجالس التي يخشونها بما تتضمنه من إدانة لقتلة الحسين عليه السلام وظالمي أهل البيت عليهم السلام.

فإذاً لقد شهدت بعض المناطق الإسلامية اتجاهاً لافتاً لإقامة مجالس العزاء وبشكل رسمي وقوي ببروز الدول الشيعية، فقد برزت مجالس العزاء الحسينية قبل بغداد في مدينة حلب لمّا سيطر الحمدانيون على حلب ومناطق واسعة أخرى وراحوا يحيون أيام عاشوراء بالشعر والرثاء وذلك في عام ٣٣٣ هجرية، وفي قصائد أبي فراس الحمداني إشارة إلى بعض تلك المآتم.

إن المآتم التي بدأت تظهر بشكل بسيط في أيام الإمام زين العابدين عليه السلام من ثم توسعت شيئاً فشيئاً مع اتساع رقعة الولاء لأهل البيت عليهم السلام طوال فترة المعصومين عليهم السلام واستمرت هذه المجالس ولكن ليس كظاهرة تحظى بتسجيل المصادر التاريخية وتوثيقها. ولكنها شهدت تطوراً كبيراً ونوعيّاً ببروز الدول الشيعية. وقبل أن تبرز هذه الدول الشيعية، كانت هناك تجمعات في بيوت الأئمة عليهم السلام أو بيوت الشخصيات الشيعية البارزة. وقد برزت هذه المآتم بشكل واضح عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، والتي تطورت وتعاظمت حتى قام المتوكل العباسي بإخافة الزائرين والمقيمين في كربلاء، بل وصل به الأمر إلى هدم قبر الحسين عليه السلام.

إن تجاوب الأمة مع المجالس لم ينقطع، إلا أنها كانت مخفية ثم برزت أيام هذه الدول؛ ومن جهة أخرى؛ فقد برزت المآتم في مصر، حيث أقيمت وبشكل كبير عند دخول الفاطميين إلى القاهرة، التي أسسها جوهر الصقلي أحد قوّاد الفاطميين وأسس فيها الجامع الأزهر نسبة للسيدة الزهراء عليها السلام وذلك عام ٣٦٢ هجرية.

وتحولت أيام عاشوراء في القاهرة إلى أيام عزاء. وكانت المآتم في مصر مرتبة أكثر من مثيلاتها في بغداد، لأن القاهرة كانت عاصمة الحكم الفاطمي وهو حكم شيعي، أما بنو بويه فقد كانوا قادة وأمراء ضمن الحكم العباسي القائم آنذاك، لكنهم كانوا قادة أقوياء ففرضوا بعض الأمور، أما في مصر فقد كانت الدولة كلها شيعية. ففي يوم عاشوراء حيث كان يخرج الخليفة وأصحابه حفاة إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام، ثم نزول المنشدين يوم العاشر على شكل مجموعات إلى الشوارع ضمن مراسم معينة، ويمكن مراجعة الخطط وإتحاف الحنفا للمقريزي والنجوم الزاهرة للتغربردي وغيرها من المصادر، لمزيد الاطلاع على الكيفية التي كانت عليها المآتم الحسينية آنذاك.

إذن، فالمرحلة الثانية هي مرحلة بروز الدول الشيعية؛ التي أعطت للمنبر الحسيني بعداً واسعاً وانتشاراً واضحاً. إن وجود السلطة الشيعية أعطى المنبر الحسيني عليه السلام إمتداداً كبيراً وسمع به من لم يسمعه، وعاشه من لم يعشه، ورآه من لم يره سابقاً.

المرحلة الثالثة:

مرحلة الركود العام الذي عاشه المجتمع الإسلامي حيث ضعفت همةُ المسلمين ووهنت كلمتهم. ويمكن أن يؤرخ لهذه من سقوط بغداد أيام هولاكو، أو بعدها بسنين.

فقد أُصيب المنبر الحسيني بما أصيب به بقية المجتمع المسلم ومؤسساته، حيث سيطرت فيه نوازع الزهد السلبي، وترك الحياة واتهامها أنها خانت أهل البيتو، في حين نجد عند حديثنا عن مرحلة التأسيس كيف كان الشعراء الذين يفدون على أئمة أهل البيتو يحاسبون بني أمية ويشجبون مواقف الظالمين، وكذلك أيام الدول الشيعية نوعاً ما، لكن بعد ذلك أصبح هناك ركود في عموم المجتمع الإسلامي، حالة خمول وابتعاد عن المسؤوليات، ويمكن لبيت من الشعر توضيح ما آل إليه المنبر في هذه المرحلة:

أترجو الخير من دنيا أهانت

حسين السبط واختارت يزيدا

حيث نجد التأكيد منصبّاً فقط على الجانب المأساوي في واقعة كربلاء، ولعل أفضل وثيقة تحكي ما كانت عليه المآتم الحسينية في تلك المرحلة؛ كتاب المنتخب لفخر الدين الطريحي والمتداول في الأسواق لحد الآن. واستمرت هذه المرحلة إلى بداية عصر النهضة الحديث. تقريباً، مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي قبل قرن تقريباً.

المرحلة الرابعة:

ومع تعاظم الوعي والانفتاح على الجانب الثقافي، وظهور أجهزة

الإعلام الحديث والاتصالات، وسرعة طبع الكتب وانتشارها، حيث جاءت المطابع وجهزت الكتب والصحف. وعندما عمَّ الوعي عموم العالم الإسلامي، فقد برزت فترة انتعش فيها المنبر الحسيني كذلك وأمتد الوعي إليه، لأن المنبر الحسيني هو مؤسسة من مؤسسات المجتمع، فإذا عمّ الوعي وازدادت الثقافة في المجتمع نجد المنبر الحسيني مستجيباً لهذا التطوّر، وإذا تخلف المجتمع فإن المنبر الحسيني يضعف ويضمر دوره كذلك وهذا لا يعني استسلام خطيب المنبر الحسيني لحالات التخلّف، بل عليه، أداء رسالته بوعي وهادفية ولكن هناك أموراً واقعية تفرض نفسها على عموم الأمة.

إن المرحلة الرابعة هي المرحلة المعاصرة، حيث برز فيها مجموعة من خطباء المنبر الحسيني من ذوي الكفاءات المميزة؛ من حيث الإحاطة بالأدب والسيرة والتفسير والتاريخ. فأغنوا المنبر الحسيني بالموضوعات والمحاضرات، التي شدّت المجتمع وراح الناس ينهلون من المنبر الحسيني الأفكار والعقائد، والحكم الشرعي، والحس الأدبي، والانفتاح على التأريخ حتى قالوا، إن المجالس مدارس.

لقد شهدت بداية القرن العشرين، ونهاية القرن التاسع عشر الميلاديين ومع التطور الهائل للأوضاع في العالم ومع تنبه المسلمين إلى خطورة هذا التطور، بروز بعض الخطباء الحسينيين الذين أحدثوا نقلة نوعية في المنبر الحسيني ورسالته.

فقد برز الشيخ كاظم السبتي الذي كان أستاذاً كبيراً في الحوزة وخطيباً حسينياً لامعاً وكان يحفظ نهج البلاغة عن ظهر قلب، ففي

كل مجلس وبعد أن يقرأ القصيدة يبدأ بمقطوعة من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثم يشرح ما فيها من مفاهيم وقيم ويؤيد قوله بالشعر والقصص والروايات والأحاديث والآيات، فأصبح المنبر الحسيني عبارة عن حديقة متنوعة ومائدة غنية. وقد أحدث هذا الرجل تأثيراً كبيراً في طرح المنبر الحسيني.

وهو الذي ابتكر أسلوب التخلص الذي يسمى بالانتقال«ويُصطلح عليه باللهجة الشعبية العراقية الخليجية مصطلح الكُريز؛ أي كيفية الانتقال من الموضوع أو المحاضرة إلى كربلاء بأسلوب إنسيابي. وتوفي الشيخ كاظم سبتي رحمه الله عام ١٣٣٩هـ-١٩٢٠م. وبرز معه في السنين الأخيرة من عمره الخطيب السيد صالح الحلي، هذا الرجل الذي كان مجتهداً على بعض الأقوال، وكان شاعراً جريئاً ومجاهداً، وكان عنده إحاطة بالأمور الفقهية والأمور التأريخية وبشكل مذهل، إذ كان يطالع الكتب وكان يحاول أن يستخلص من أعماق الكتب شواهد على الموضوع الذي يريد أن يطرحه، وكان يحدث شدّاً غريباً في مجلسه بحيث يستقطب طبقات المجتمع. وينقل الأستاذ جعفر الخليلي في مؤلفه «هكذا عرفتهم» أن السيد صالح الحلي كانت عنده سعة اطلاع ومتابعة مذهلتين للأدب والتاريخ وسنأتي في درسنا القادم إن شاء الله على مثال لما كان عليه هذا الخطيب المتميز والذي توفي رحمه الله عام ١٣٥٩هـ - ١٩٣٩م..

ثم جاء بعده الشيخ محمد علي اليعقوبي الذي توفي سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥ م هذا الرجل كان الحلقة الثالثة في هذه السلسلة الموفقة من

الخطباء، ولقد كان مع كل خطيب من هؤلاء الخطباء الثلاثة مجموعة من الخطباء، إن هؤلاء الخطباء الذين برزوا، كانوا يعطون للمنبر الحسيني بعداً تربوياً ثقافياً كبيراً لم يأت به غيرهم، بحيث أن أهل بغداد لم يتركوا الشيخ اليعقوبي عشر سنوات، حيث تعلق الناس بمحاضرات الشيخ اليعقوبي وأبحاثه ولم يرجع إلى النجف الأشرف إلا بعد فتوى شرعية ألزمته العودة وترك بغداد.

لقد قام خطباء المنبر الحسيني بأدوار كبيرة في تثبيت عقائد الناس وتوسيع ثقافتهم وإن هذه المجالس أعطت الأمة عطاءً فكرياً وتربوياً رائعين، لقد تحولت المجالس الحسينية إلى مجالس تهتم برفع مستوى الناس دينياً وعقائدياً وثقافياً، لأن الخطيب كان يتعب نفسه في التحضير -والدراسة والمتابعة، ولم يعد المنبر الحسيني مجرد قصيدة ... أو بكاء على الإمام الحسين عليه السلام، - الذي يبقى عنصراً أساسياً في المنبر - ولكنه توسع وتجذّر ليحظى بأبعاد رائعة متعددة.

ثم جاء الشيخ أحمد الوائلي، الخطيب الحسيني الذي يعتبر معلماً مميزاً لخطباء المنبر الحسيني وصاحب مدرسة خطابية مميزة. لقد برز الشيخ الوائلي أيام المواجهة الحادة بين أفكار الإسلام مع الأفكار الشيوعية والأفكار الغربية الأخرى التي كانت تأخذ من عقول الشباب وعموم المثقفين مأخذاً كبيراً، فجعل منابره منابر وعي ومنابر الدفاع عن الإسلام ومحاكمة الأفكار الواردة.

إن على خطيب المنبر الحسيني أن يطرق الموضوع الذي يحتاجه المجتمع ويتفاعل معه وكلما استطاع الخطيب أن يعيش مع الناس

ويطرح على المنبر هموماً يعيشها الناس فإن منبره يكون موفقاً أكثر من غيره.

الشيخ الوائلي أنسى من كان قبله وسيتعب من يأتي بعده، لأنه رجل أديب وشاعر يختار الكلمة وينحتها نحتاً، فكر متألق ونجاح مستمر وقد أصبح الدكتور الوائلي صاحب مدرسة في هذا المجال وحتى يقال الآن عن الخطيب الناجح أنه مثل الشيخ الوائلي.

وقد أكمل الشيخ دراسته الجامعية في النجف ونال الماجستير في جامعة بغداد والدكتوراه في جامعة القاهرة.

ويعد الشيخ الوائلي أول خطيب حائز على دكتوراه واستمر في قراءة مجالس عزاء الحسين عليه السلام ولهذا كان يجذب الناس وعموم المثقفين وطلاب الجامعات إليه. فأصبحت مجالس الشيخ الوائلي تغني الفكر الإسلامي، ولم يكن يؤكد على الجوانب المأساوية إلا قليلاً، يبدأ بآية قرآنية، وفي آخر المجلس يعرّج على بيت أو بيتين من الشعر في الأيام العادية وقد فجع المنبر الحسيني بوفاته رحمه الله في جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، الموافق لتموز ٢٠٠٣.

هذه هي المرحلة المعاصرة التي وصل فيها المنبر الحسيني إلى ما وصل إليه الآن. وتابعنا كيف قد بدأ بمجرد شاعر يفد على الإمام الصادق عليه السلام، ويقرأ قصيدة رثاء، إلى هذا المستوى الذي بلغه هذه الأيام بحيث أصبح الناس تطلب من خطيب المنبر الحسيني، أن يكون حديقة متنوعة من الثقافة والأدب، إضافة إلى إشباع الجانب العاطفي في واقعة الطف.

الدرس الثاني

مجالس العزاء في عصر الأئمة عليهم السلام

تحدثنا في الدرس السابق عن المراحل التي مرَّ بها المنبر الحسيني في تطوره، ولا يزال الموضوع بحاجة إلى إشباع. خاصة فيما يتعلق ببداية تأسيس المنبر وحث الأئمة عليهم السلام على إقامته وهذا ما سنتناوله في هذا الدرس. فإنَّ واقعة كربلاء التي حدثت سنة ٦١ للهجرة كان يمكن أن تكون مجرد معركة بطوليّة وملحميّة بين فئتين متفاوتتين في العدد والمبدأية. ولكنها إضافة إلى ذلك تميّزت بأبعادٍ عاطفية وبشكل عميق ومؤثّر، ولعل هذا من النتائج المهمة التي برزت من إصرار الإمام الحسين عليه السلام على أن يأخذ النساء معه. و كانت أبعاد الحركة واضحة عند الإمام الحسين عليه السلام، إذ كان عليه السلام عالماً أنه ماضٍ للقتل، وإصرار الإمام عليه السلام على أن يأخذ النساء معه نتجت عنه عدة فوائد، وترتبت عليه أبعاد عدّة: منها إعطاء واقعة كربلاء هذا الزخم العاطفي؛ لأن مجيء النساء يعني مجيء الأطفال حتماً، حيث ستبرز الأدوار المهمة لهذا المجيء خلال المرحلة الثانية من نهضة الإمام الحسين عليه السلام. وذلك طوال أيام السبي، من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام حتى العودة إلى المدينة. إن قطع هذا الطريق الطويل، لم يكن بالأمر اليسير والهينّ؛ إنه الطريق الذي اكتنف مآسٍ وآلاماً، جعلت لواقعة

كربلاء بعداً عاطفياً، جنباً إلى جنب مع قيام ركب السبي بتوضيح نهضة الإمام الحسين عليه السلام وفضح النهج الأموي الظالم، وقد انتظمت مجموعة من التعازي والمآتم العفوية عبر هذه المسيرة.

فهناك عزاء أقيم في كربلاء ليلة الحادي عشر؛ حيث زينب عليها السلام المفجوعة ومن بقي من النساء والأطفال في تلك الليلة.

ومجلس أقيم حينما خرج ركب السبايا من كربلاء، ومجلس آخر أقيم في الكوفة؛ وكان مأتماً عاماً، ضجت الكوفة بأهلها حتى يقول القائل: رأيت شيخاً إلى جنبي يبكي قد بلَّ لحيته بدموع عينيه وهو يقول بأبي أنتم وأميَّ... إلى آخر الرواية، إذن هناك مجلس عزاء عمومي في كربلاء وآخر في الكوفة، ومجالس عزاء متنقلة في الطريق إلى الشام. إن مجلس العزاء العام الذي أُقيمَ في الكوفة والتي كانت فيها قاعدة مواليه ومحبة لأهل البيت عليهم السلام. ولكن هذا الأمر لم يكن موجوداً في الشام؛ لأن الشام كان فيها نمط آخر، حيث ساد العداء لأهل البيت عليهم السلام، نعم أقيم مجلس عزاء في قصر يزيد من قبل بعض النساء الأمويات اللواتي أقمن المآتم ثلاثة أيام، وشاركن بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بالعزاء. كما يُنقل ذلك في تاريخ الطبري والأخبار الطوال وابن الأثير وغيرهم، نعم كان هناك بكاء ونحيب عام في مسجد دمشق الأعظم، تجاوباً مع خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام. ثم كان هناك مجلس آخر عام أيضاً أقيم في كربلاء حيث أن مأتماً كبيراً أقيم في كربلاء في يوم الأربعين، ومأتم كبير آخر أقيم في المدينة المنورة، لما رجع ركب السبايا إلى المدينة،

وخروج أهل المدينة لاستقبال المَسبيات. حتى يقول الراوي فكان يوماً شبيهاً بيوم مات فيه رسول الله ﷺ، وقد أطلقنا على هذه المآتم أنها مآتم عفوية أو عرضية، ومعنى ذلك أنه لم يكن هناك مسألة تخطيط مسبق لهذه المآتم، بل أن طبيعة المأساة وطبيعة الآلام، هي التي كانت تفجر موقف البكاء. نعم برزت المجالس الحسينية الهادفة، بعد ذلك حينما دعا الأئمة عليهم السلام شيعتهم وشجعوهم وحثوهم على إقامة هذه المآتم.

فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام حينما يقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين دمعة، حتى تسيل على خده بوأه الله بها غُرفاً في الجنة يسكنها أحقابا».

لقد كان عليه السلام يدعو إلى البكاء وتذكر واقعة كربلاء ونجد الإمام الباقر عليه السلام يقول: «ما اجتمع مؤمن مع آخر وتذاكروا في أمرنا إلا وكان ثالثهما ملك مقرّب يدعو لهما».

ونستمع إلى الرواية حينما يدخل الفضيل ابن يسار على الإمام الصادق عليه السلام ويسأله الإمام: يا فضيل تجلسون وتتحدثون؟ قال الفضيل: نعم جعلت فداك يا ابن رسول الله ﷺ قال: «يا فضيل، إن تلك المجالس أحبها أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا».

إذاً هناك دعوة واضحة إلى إقامة المآتم والحث على حضورها، وكذا الحال مع الإمام الرضا عليه السلام عندما يلتقي بالريان ابن شبيب في أول يوم من أيام محرم ويقول له: يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب.. وهذه دعوة أخرى إلى أن تقام

المآتم الحسينية، والأئمة عليهم السلام لم يكتفوا بالحث وإنما نفذوا ذلك على الأرض.

فكان الإمام الباقر عليه السلام يدعو الشعراء إلى بيته، ويدخل الكميت ابن زيد الأسدي ويدخل السيد الحميري وشعراء آخرون يرثُون الإمام الحسين عليه السلام بين يدي الإمام الصادق عليه السلام وهو يدعو أصحابه للاجتماع والبكاء. إذاً أصبح هناك مجلس حسيني هادف، وهو يختلف عن المآتم التي كانت في أيام السبايا، ففي أيام السبايا كانت طبيعة المأساة هي التي تُبكي الناس، فيتفاعلون معها. وأما هنا فقد برزت مآتم يُدعى لها ويستجيب المؤمنون لدعوتها.

لقد كان ممكناً لواقعة كربلاء أن تنسى وكانت مهددة بالنسيان فعلاً، ولكن الأئمةو أرادوا أن يُبقوا جذوة كربلاء متقدة في النفوس، حتى تبقى طاقة تزوِّد الأمة بعطاء عاطفي ورشدٍ واعٍ، فيه حرارة وصدق مع مبادئ الإسلام والتضحية من أجله. نعم لقد أثمرت جهود الأئمةو في إبقاء واقعة كربلاء حيّة عبر المجالس والمآتم. حتى نشأت في عهد الإمام الصادقد طبقة أو مجموعة من الناس أطلق عليهم اسم المنشدون «المُنْشِدُ رجل يحفظ الشعر الرثائي في الحسينd ويقرأه وهناك رواية أن الإمام الصادقد تدَخّل حتى في كيفية قراءة القصيدة، ففي الرواية المشهورة حين يدخل أبو هارون المكفوف على الإمام الصادقد يلتفت إليه الإمامd يقول له: أتحفظ شيئاً من قصائد السيد الحميري قال نعم، قال الإمامd أنشدني،

وكأنما هيبة الإمام الصادق عليه السلام قد جعلت هذا الرجل يقرأ القصيدة وكأنها شعر عادي:

أمرر على جدث الحسين

وقل لأعظمه الزكيّة

يا أعظماً ما زلت من

وطفاء ساكبة رويّة

ولكن الإمام الصادق عليه السلام التفت إلى الرجل وقال: يا أبا هارون ما هكذا، إقرأها كما تقرأون وفي رواية اقرأها وكأنك عند قبر الحسين عليه السلام.

وكأن لسان حاله... يقول: نعم لا أكتفي منك أن تقرأها بالطرق العادية، إقرأها بالطور إقرأها باللحن المشجي بالأسلوب الحزين، إذن لقد نشأت في عهد الإمام الصادق عليه السلام طبقة تسمى بالمنشدين، المنشدون أناس اختصوا بالرثاء بالإمام الحسين فأصبح هناك تخصص. لقد خطى المنبر الحسيني أولى خطواته، حينما برز في المجتمع أناس متخصصون بقراءة القصائد الرثائية، ولم يكن في المجالس حينذاك موضوع ولا تخلّص ولا مصيبة، كانت هناك قصيدة فقط ولم يكن يقرأ غيرها، وفي موازاة هؤلاء المنشدين نشأت طبقة أخرى تسمى بالقصّاصين.

والقصاصون هم الذين كانوا يسردون على الناس قصة واقعة كربلاء بما يعرف بالسيرة أو مصرع الحسين عليه السلام فيقصون على الناس؛ كيف خرج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة بعدما رفض بيعة

يزيد كيف وصل إلى مكة؟ ماذا جرى في مكة؟

ما هي الطرق من مكة إلى كربلاء؟

ماذا حصل في كربلاء؟ أحداث يوم عاشوراء ثم احداث ليلة عاشوراء، بعد ذلك السبايا، وماذا حصل في الكوفة؟ ماذا حصل في الشام؟ خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام، خطبة السيدة زينب عليها السلام، الرجوع من مكة إلى كربلاء؟ من كربلاء إلى المدينة؟

وكل ما جرى مع الإمام الحسين وأصحابه قبل المعركة وبعد المعركة وهذا يسمى كما ذكرنا بالمقتل أو المصرع.

إذن القصاصون كانوا يقرأون ويقصون على الناس: الذي حدث في كربلاء ثم تطوّر الأمر ثم بعد ذلك حيث اندمج هذان العنصران في شخص واحد، فصار المُنْشِدُ يقرأ شيئاً من هذه السيرة.

وبعدها لا بد أن يقرأ معها شيء من الشعر، فبدأت الخيوط الأولى تتجمع لقارئ العزاء، لبروز الخطيب الحسيني، حيث أصبح يقرأ القصيدة والسيرة، ثم استمر هذا التطور حتى أضيف إلى رثاء الإمام الحسين عليه السلام رثاء بقية أهل البيت عليهم السلام.

ولعل من أقدم النصوص في هذا التطوّر، هو قصيدة دعبل بن علي الخزاعي، التي أنشدها في حضرةِ الإمام الرضا عليه السلام، والتي لم يُركّز فيها فقط على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وإنما كان يعرّج على مصائب أهل البيت عموماً، وهو التطور الذي وسّع من

دائرة المنبر ليشمل بقية الأئمة مع الحسين عليه السلام... ومن أبيات تلك القصيدة :

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصاتِ
ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثفناتِ
قبور بكوفان وأخرى بطيبة
وأخرى بفخٍ نالها صلواتي
وقبرٌ بأرض الجوزجان محلها
وقبرٌ ببا خمرا لدى الغربات
وقبرٌ ببغداد لنفس زكية
تضمنها الرحمن بالغرفات

ويومها بكى الإمام الرضا ثم قال: أضف إلى قصيدتك هذا البيت:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة
ألحت على الأحشاء بالزفرات

قال يا بن رسول الله ما عهدت لكم قبراً في طوس، قال الإمام الرضا إنه قبري يا دعبل وسيكون مثابة لشيعتي «من زارني في غربتي زرته في غربته يوم القيامة».

بعدها قال الإمام الرضا عليه السلام: يا دعبل عرّج بنا على كربلاء.

وبالمناسبة فإن بعض الخطباء يسمون فقرة التخلّص -التي سيأتي

بيانها- بالتعريج، حيث يُعرِّج أي ينتقل الخطيب من موضوع إلى موضوع آخر.

وعرِّج بنا على كربلاء تعني أوصلنا إلى كربلاء وفي تلك الساعة، قال دعبل:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

وقد مات عطشاناً بشط فرات

إلى آخر القصيدة...

ثم أن هناك تطوراً آخر حدث للمجلس الحسيني، حينما دخل موضوع الوعظ في مجالس الحسين فأصبح خطيب المنبر الحسيني، يقرأ قصيدة ثم يذكر شيئاً من حديث الوعظ والتذكير بالآخرة والموت ثم يعرّج على كربلاء.

وهكذا بدأ الموضوع يدخل في هيكلية خطيب المنبر الحسيني، كفقرة من فقراته المتطوّرة.

لقد لاحظنا خطوات التطوّر هذه، فالمنشد كان ينشد قصائد الرثاء، ثمّ وسّع من دائرة عمله ليضيف إليها حفظ نصوصٍ من السيرة الحسينية، ثم سيرة ورثاء أهل البيت عليهم السلام، وأخيراً شمل التطوّر ذكر المواعظ وأخبارها ضمن الخطبة.

ثم حدثت بعد ذلك تطورات كثيرة أخرى إلى أن وصل الخطيب الحسيني إلى المستوى الذي فيه الآن. فعندما نستمع إلى مجلس حسيني للدكتور الوائلي مثلاً. وإذا بها محاضرة متكاملة فيها الفقه والاقتصاد والفلسفة والعلوم المختلفة وتفسير القرآن والثقافة

والتأريخ، بحيث يخرج منها المستمع متعلّماً ومستفيداً.

وحتى نعرف مقدار السعة التي بلغتها ثقافة الخطباء، نذكر مثلاً لأحد الخطباء المبدعين وهو السيد صالح الحلي رحمه الله الذي سبق أن أشرنا إليه في درسنا السابق، والذي كان أحد الخطباء المعروفين فكان قد دعي في النجف الأشرف، لإقامة مجالس لعشرة أيام، وكان هناك في العراق عدة جهات تقيم المجالس الحسينية، مثل صنف البقالين يقيمون مجلساً، صنف الحدادين عندهم مجلس، صنف أصحاب المطاعم، صنف أصحاب الفنادق، صنف بائعي الخضار، صنف سائقي السيارات، كل صنف من هذه الأصناف له مأتم خاص به. وكان في النجف مجلس يقيمه المكاريون وهم الذين يتولون مهمة نقل البضائع والمسافرين على دوابهم قبل شيوع السيارات من النجف وإليها. فدعي السيد الحلي أن يقيم لهم مجلس لعشرة أيام. وتستمر هذه المجالس من أول محرم إلى الثلاثين من صفر أي ستين يوماً متتالياً ليلاً ونهاراً. وجرت العادة أن يستمر المجلس الواحد لعشرة أيام أو ليالٍ، فهناك مجلس للعشرة الأولى من المحرم ومجلس للعشرة الثانية منه، وآخر للثالثة وهكذا بالنسبة لشهر صفر أو شهور أخرى.

ولما ارتقى السيد صالح الحلي المنبر، لم يخرج في مجلسه هذا عن مواضيع وأخبار القوافل وما قيل في الجمال والخيول والبغال والحمير من شعر ونوادر أدبية وأحاديث وقصص.. فتعاظمت هناك حشود كبيرة من الحضور يستمعون إلى محاضراته ويستمتعون بها وبشكل مذهل. وهكذا لم يبق منبر الحسين عليه السلام مجرد مجلس بكاء، إنَّ

مجالس الإمام الحسين عليه السلام ليست فقط مجالس عزاء، وإنما هي مجالس لتربية الأمة، والمنبر الحسيني الذي بدأ بتجمع بسيط في منزل الإمام الصادق أو الباقر عليهما السلام ووصل إلى هذه المستويات المتطورة من الطرح، حتى صار مؤسسة إعلامية كبرى، تعالج مشكلات الإنسان المسلم وشؤونه المختلفة وإن على خطيب المنبر الحسيني أن يستوعب هذه المسيرة حتى يعي دوره الذي ينبغي النهوض به والإحاطة بالبرنامج والموضوع الذي يسعى لطرحه.

الدرس الثالث

تمهيد في الخطابة وخطابة المنبر الحسيني

نشأت الخطابة مع تكوّن المجتمعات البشرية الأولى، حيث برزت الحاجة إلى التحدث مع المجتمع المتكون، وبأسلوب يشد الجميع ويوصل إليهم المعلومة المطلوبة.

ويعتبر الأنبياء عليهم السلام هم اقدم خطباء البشرية؛ بما كانوا يقومون به من أدوار التوجيه والإرشاد للمجتمعات البشرية، عبر العصور وبمختلف اللغات وتباين الثقافات.

وقد تميز النبي شعيب عليه السلام، بقوة حججه وأسلوبه المميز في الإجتماع مع قومه، حتى لقّب بـ «خطيب الأنبياء».

ومع توسع حاجات الإنسان، وتنوّع وجهات نظره، وبروز حقول جديدة لنشاطاته، فقد تطورّت الخطابة وفقاً لهذا التطور والتخصّص، حيث تقسّم الخطابة إلى أقسام عدة، منها: الخطابة الدينية والخطابة السياسية والخطابة العسكرية والخطابة الاجتماعية... الخ

وذلك حسب نوعية الموضوع المطروح للبحث والمراد الحديث عنه وتوضيح معالمه.

وتعرَّف الخطابة عدة تعريفات، وقد تكون بوضوحها لدى الإنسان

بما لا تحتاج معه إلى ذكر نصّ خاص في تعريفها، ولكننا مع ذلك سنورد بعضاً من هذه التعريفات. فقد تعرَّف الخطابة بأنها: «فن التحدّث إلى الجماهير». أو تعرّف في علم المنطق بأنها: «صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع حصول التصديق به بقدر الإمكان»[1].

وبعد هذا المرور السريع بموضوع الخطابة، والذي تكفّلت ببيان تاريخه وأنواع الخطابة وتعريفاتها كتب كثيرة، وقصدُنا هنا هو التمهيد لموضوع دروسنا القادمة في حقل «خطابة المنبر الحسيني». أو الخطابة الحسينية أحياناً. ولكن الإسم الأول قد يكون أدق في الدلالة والتعريف من الثاني.

خطابة المنبر الحسيني

إن خطابة المنبر الحسيني تعتبر من أقسام الخطبة الدينية، شأنها شأن خطبة الجمعة وخطبة العيدين.

إلا أننا سوف نجد أن خطيب المنبر الحسيني يحتاج إلى كلّ ما يحتاج إليه الخطيب الديني وزيادة.

فخطبة المنبر الحسيني قسم من أقسام الخطبة الدينية حسب المفهوم، إلا أن مساحة ما تتناوله خطبة المنبر الحسيني قد تكون أوسع مما تتناوله الخطبة الدينية المألوفة.

وعلى هذا فيمكن ان نعّرف خطبة المنبر الحسيني بأنها قسم خاص من أقسام الخطبة الدينية، لها مقدمة خاصة تميزّها عن بقية

(١) راجع منطق المظفر: ص٣٦٩.

الأقسام، وتتلى بإنشاء خاص، ثم تختتم بأبيات رثاء بأطوار خاصة، ويقع بينهما موضوع البحث الذي قد تشترك فيه مع أقسام الخطبة الدينية الأخرى.

وستتضح الصورة وبشكل جلّي في الدروس القادمة إن شاء الله.

ولقد مرّ المنبر الحسيني وخطابته، بتطورات نوعيّة عبر تاريخه الطويل، الذي بدأ بُعيد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وحتى وصوله المرحلة التي بلغها في عصرنا الحالي، والتي تعتبر أرقى ما وصل إليه المنبر الحسيني في تطوّره، حيث تتألف فقراته التي تشكل هيكليته مما يلي:

١- المقدمة.

٢- القصيدة.

٣- المحاضرة «البحث» أو «الموضوع».

٤- التخلص.

٥- المصيبة.

٦- الدعاء.

وسنحاول في دروسنا هذه - إن شاء الله - بيان هذه الفقرات بما يجعل الصورة واضحة للمهتمين بشؤون المنبر الحسيني عامة، وللطلبة الراغبين باعتلاء أعواده ليكونوا خطباءً له بشكل خاص.

آملين أن تكون هذه الدروس مساهمة في الطريق الصحيح، من أجل العمل العلمي الهادف لإيجاد أفضل السبل وأنجح الوسائل؛ التي من شأنها بروز خطيب منبر حسيني، بالمستوى الذي يمكّنه من أداء

مهّمته الكبيرة والقيام بمسؤوليتهم الجسيمة، أمام الله تعالى والأمة والتاريخ، وبما يجعله أهلاً لوسام «خدمة سيد الشهداء الحسين عليه السلام».

وكما مرّ بنا فإن خطبة المنبر الحسيني تتميّز عن بقية أقسام الخطبة الدينية ببعض المميزات، حتى يمكن القول؛ أن بين خطبة المنبر الحسيني وعموم الخطبة الدينية ما يعرف في علم المنطق بـ «نسبة العموم والخصوص مطلقا»، إذ أن طيب المنبر الحسيني يتوافر على كل شرائط الخطيب الديني مع إضافات ومؤهلات لا يحظى بها سوى خطيب المنبر الحسيني. وسيتضح ذلك في توقفنا عند الفقرات التي تتألف منها خطبة المنبر الحسيني، وهي:

١ - المقدمة...

مما يميّز خطبة المنبر الحسيني هو نحوٌ خاص من المقدمّات، التي يبدأ بها خطيب المجلس، حيث لا بد من أن يخصّ الإمام الحسين عليه السلام بصلاة خاصة ثم لا بد أن ينهي المقدمة بالجملة التي حفظتها جماهير المنابر الحسينية وهي «يا ليتنا كنا معكم سادتي أو سيدي - فنفوز فوزاً عظيما».

إن هاتين الجملتين أساسيتان في المقدمة؛ «صلى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله» و «يا ليتنا كنا معكم...» وقد تسبق ذلك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيما» هذه المقدمة بمجرد أن يسمعها الإنسان الذي يعي ويعرف هذه الأجواء فإنه يتبادر له فوراً أنه في مجلس حسيني وليس

محاضرة ما والمقطع الأخير مستلّ من وصية الإمام الرضا عليه السلام قالها للريّان ابن شبيب «يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الأجر كمن قتل مع الحسين عليه السلام فقل كلما ذكرته يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيما» كما أن من المعلوم أن القرآن الكريم ذكر هذه الصيغة بالآية المباركة ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودّة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما﴾[1].

أو قد تبدأ بالبسملة والحمد لله ثم الصلاة... ولكن كل ذلك لا يعتبر أساسياً أو مميزاً لمقدمة المنبر الحسيني، أن الذي يميزها هو إفراد صلاة خاصة بالإمام الحسين عليه السلام، التي قد يضاف إليها ألفاظ ومصطلحات، يميل اليها بعض الخطباء فيما يميل غيرهم إلى غيرها، مثل القول بعد الصلاة على الإمام الحسين عليه السلام: السلام عليك أو صلى الله عليك يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة، أو يا صريع الدمعة الساكبة وصاحب المصيبة الراتبة أو يا مظلوم كربلاء... أو قد تضاف فقرة... صلى الله عليك وعلى المستشهدين بين يديك، خاصة في مجالس عاشوراء. ثم لا بد أن يختتم كل ذلك بـ «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيما».

ثم أن بعض الخطباء لهم مقدمة ثابتة، لا يغيّرونها مع اختلاف المناسبات أو المواسم الخطابية. وبعضهم يخصّ مجالس عاشوراء بفقرات يضيفها للمقدمة.

بينما نجد بعض الخطباء يكتفي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثم

(١) سورة النساء، آية ٧٣.

يختم مقدمته بيا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً وذلك في مجالس وفيّات النبي ﷺ وبقية المعصومين عليهم السلام دون أن يخصّ الإمام الحسين بمقدمة خاصة كما هو المألوف في كل المجالس الحسينية، وهم قلة نادرة في الخطباء.

إن اختصاص خطبة المنبر الحسيني بفقرات خاصة، يعتبر أول ما يميزّها عن بقية أنواع الخطبة الدينية، وهناك مميّز آخر لها، وهو أنه لا بد من تلاوة فقرات المقدمة بطور معين وأسلوب خاص، ولا يكتفي بقراءتها بصورة عاديّة كما يبدأ بقية خطباء الخطب الدينية الأخرى...

إذن، فان مقدمة خطبة المنبر الحسيني تتميز بأمرين هما:

١- تشمل فقرات خاصة بها تخرجها من أي مقدمة خطبة دينية أخرى.

٢- لا بد من تلاوتها بطور خاص وأسلوب معّين.

إن فقرة المقدمة، من التطورّات الجديدة التي طرأت على المنبر الحسيني، حيث خلت الكتب الخطابية القديمة منها ولعل آخر ما وصل إلينا من تلك الكتب هو كتاب «المُنتخب» لفخر الدين الطريحي والذي يعرف «بالفخري» أيضاً.

الدرس الرابع

فقرة القصيدة

سبق لنا في الدرس السابق، أن توقفنا عند موضوع فقرات المنبر الحسيني في عصرهِ الأخير، وقد درسنا الفقرة الأولى؛ وهي فقرة «المقدمة»، وسنكمل في درسنا هذا بقية الفقرات.

فبعد فقرة المقدمة، تأتي الفقرة الثانية، وهي فقرة القصيدة.

٢ - فقرة القصيدة:

لقد كان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في كربلاء من جهة، وأخذ أهله وعياله سبايا من جهة أخرى، سبباً بالغ الأثر في هذا الاندفاع الأسطوري لرثاء شهداء كربلاء، حيث ما فتئ الشعراء ومنذ صدمتهم الأولى، بما جرى أيام عاشوراء عام ٦١ هـ وحتى الآن، بل وإلى قيام الساعة، يبادرون إلى ترجمة عواطفهم وعميق تأثرهم وشدّة انفعالهم بقصائد أخذت مأخذها في تهيج المشاعر، وإرهاف الحس، وشدّة الإندفاع، في إقامة المآتم الحسينية، ومنذ أن راح الأئمة عليهم السلام يحثّون الناس على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام نراهم في الوقت نفسه يحثون على قول الشعر وإنشاده.

ولا أحسب أن شخصية غير الحسين عليه السلام وحادثة غير واقعة كربلاء، قد حظيت بهذا الاهتمام الكبير، من قبل أعاظم

الشعراء والمبرزين منهم وعلى طول التاريخ! وامتّد الرثاء من اللغة العربية إلى بقية اللغات؛ كالفارسية والتركية والأوردّية، حيث توقف الشعراء عند مقاطع من أحداث كربلاء وأشبعوها عاطفة ولوعة وشجىً... ولقد بلغ من سعة ما كتب من شعر باللغة الاوردّية - كمثال - ان هناك درساً خاصاً في كليات الآداب بالجامعات الهندية تحت عنوان «مرثية» ويعنون بها قصائد الرثاء الحسيني.

إن تنوع المواقف والأحداث والأخلاقيات وأطراف أحداث كربلاء، جعلت منها مادةً خصبةً غنيّةً متنوعة الأبعاد، تغري الشعراء بالانفعال بها، وترجمة ذلك شعراً رقيقاً حزيناً عميق التأثير، وفي أدق أحداث الطف.

وكل هذا أسهم في توفير مادة غنيّة وكبيرة لخطباء المنبر الحسيني، مكّنتهم من معالجة مختلف المناسبات والمواسم التي يغطيها المنبر الحسيني، حتى ألّفت مجموعات شعرية ضخمة جمعت أبرز القصائد الرثائية، ولأشهر الشعراء المجيدين في هذا الحقل المميّز. وعلى سبيل المثال: موسوعة شعراء الطف للخطيب الحسيني الشهيد السيد جواد شبّر.

ثمّ إن هناك بعض القصائد قد حازت بقصب السبق حيث راح خطباء المنبر الحسيني، يولونها عناية خاصة؛ لما تضمنته من شروط فنيّة وعاطفية مكّنتها أن تفوز باختيار الخطباء الحُسينيين وبمستوىً لم تحظ به قصائد أخرى...

ونقصد بالشروط الفنيّة: أن تبدأ القصيدة بما ألِفته القصائد العربية العريقة من وقوف على الديار وتذكرّ الأحبة والبكاء للفراق ثم يعرّج بعد ذلك، على كربلاء وأحداثها.

وأما الشروط العاطفية فنعني بها، نجاح القصيدة بإذكاء الحزن وتهييج الشجى، عبر اختيارها ألفاظاً مميزة في سباكة ملفتة، تناغم الروح العاطفية الحزينة.

إن اجتماع الشروط الفنيّة والشروط العاطفية، جعل المنبر الحسيني يُركّز على بعض القصائد الرثائية تعود إلى مجموعة من الشعراء دون غيرهم، ومن أبرز هؤلاء الشعراء من قدامى ومعاصرين... قصائد الشريف الرضي ورثائية دعبل الخزاعي وقصائد السيد حيدر الحليّ والسيد جعفر الحليّ والحاج هاشم الكعبي والسيد رضا الهندي وآخرين.

وتاريخياً، فقد بدأ المنبر الحسيني، أول ما بدأ، بقصيدة تتلى أو تنشد أمام أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث تأخذ العواطف مأخذها والدموع مجاريها... وهذا واضح في المصادر المهتمة بهذا الأمر، ككتاب «الكامل في الزيارات» لابن قولويه فيما ذكرته المصادر الأدبية في تراجم الشعراء الراثين للإمام الحسين عليه السلام.

ولم تنقل لنا تلك المصادر: الكيفية أو الأطوار التي كانت تلك القصائد تتلى بها، ولكنها ما كانت - حسب المتوقع - لتتجاوز طرائق العرب في الحداء والنوح، وفي تحسين مطلوب للصوت والإنشاد. كما

في رواية دخول أبي هارون المكفوف على الإمام الصادق عليه السلام حيث أنشده قصيدة للسيد الحميري:

أمرر على جدث الحسين
وقل لأعظمهِ الزكية
يا أعظماً ما زلت من
وطفاءَ ساكبةٍ رويّة
وإذا مررت بقبرهِ
فأطلّ بهِ وقِفَ المطيّة
وإبكِ المطهّر للمطهّر
والمطهّـرةٍ النقيّة
كبكاء معولةٍ أتت
يوماً لواحدها المنيّة

حيث التفت اليه الإمام عليه السلام ، ليطلب منه أن يقرأها بالرقّة والأسلوب العاطفي الحزين وكأنه عند قبر الحسين عليه السلام [1].

إن تحسين الصوت أمر مطلوب في تلاوة القرآن الكريم والأدعية المأثورة. وقد نقل عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن الكريم، وكان إذا قرأ القرآن انقطع الطريق وتجمّع الناس على داره يستمعون لقراءته...

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: الحثّ على أن يقرأ القرآن بألحان العرب وطرقها...

(١) راجع الكامل في الزيارات.

وهذا ما يرجّح أن الأطوار التي كانت تستخدم في الرثاء الحسيني لم تكن تتجاوز تلك الطرق ولو في بداياتها...

ولسنا هنا معنيين بمتابعة الطرق والأطوار، التي كانت أسلوباً لإنشاد قصائد الرثاء، ولكنها مجرد إشارة تاريخية لموضوع درسنا.

واليوم، فإنّ هناك أطواراً عدّة يزخر بها المنبر الحسيني المعاصر، ترجع إلى المقامات المعروفة، حيث تشترك مع بعض أساليب وطرق تلاوة القرآن الكريم، أو الأدعية المأثورة..

ولست أجد من المناسب أن نثقل كاهل الطالب وذاكرته، بأنواع الأطوار ومختلف طرق النعي والإنشاد الحزين... فلسنا هنا بصدد إعداد دراسة مفصّلة عن جميع طرق الإنشاد، التي يألفها المنبر الحسيني، بل هدفنا أولاً؛ أن نمكّن الطالب من إنشاد القصيدة بالطريقة التقليدية الصحيحة التي عليها المنبر الحسيني، ونبدأ معه ببضع أطوار لا تصل إلى خمس... كبداية، ثم له - بعد ذلك - من أن يطوّر نفسه، شيئاً فشيئاً مع ازدياد تقدمّه في الخدمة الحسينية، حيث يقوى على تنويع طرق الإنشاد الرثائي، وبما يتناسب مع أوتاره الصوتية وطول نَفَسِه وأمور أخرى. إن أول الخطوات الفنّية في المنبر الحسيني، أن يتكوّن لدى الطالب ذوقٌ إنشادي خاص، وتمكّن وتناغم بعد ذلك، بالطرق التقليديّة والأساليب المتّبعة، والتي يألفها خطباء المنبر الحسيني وجمهوره على حدّ سواء. ولهذا فإن هذه الخطوة تكون سهلةً ومتيسّرةً في البيئة التي تكثر فيها المآتم الحسينية، حيث تألف الأذن وينسجم الذوق مع أساليب إنشاد القصائد الرثائية في الإمام الحسين عليه السلام.

بينما تكتنف هذه الخطوة بعض الصعوبات بالنسبة للطالب

الناشيء في بيئةٍ قليلةِ المآتم شحيحة المجالس أن لبعض أطوار إنشاد القصائد الرثائية حضوراً خاصاً في بعض المناطق دون أخرى ومناسبات دون ثانية.

وعموماً يمكن لنا أن نُقسّم طريقة إنشاد قصائد الرثاء الحسيني إلى مرحلتين على الأقل، ويمكن ان تكون ثلاث مراحل...

المرحلة الأولى: إن خطيب المنبر الحسيني، وبعد أن ينهي فقرة المقدمة - السابقة الذكر - يشرع بقراءة القصيدة وإنشادها، وهنا لا بد أن يبدأ الإنشاد بصوت هاديء وبأسلوب وطريقة لا تفاجأ روّاد المجلس... وهذا الأمر تقتضيه طبيعة الأشياء والحكمة كما يقال... إذ ليس من المستساغ أن يبدأ أي خطيب أو متحدث حديثه بنبرات قوية وصوت مرتفع، هذا في حالة الحديث فكيف بإنشاد قصيدة، يقوم طور إنشادها وأسلوبه بدور كبير في جلب اهتمام الجمهور لها، وانفعالهم بها وإصغائهم إليها...

وهذا الطور الذي يبدأ به خطيب المنبر الحسيني قصيدته هو ما يعرف بطور «الدَرْج» وربما يلفظ ببعض اللهجات الشعبية بـ «الدَرِج» واصله مأخوذ من درج الصبي، إذا أخذ بالمشي ببطء وهدوء... وهو المطلوب من الخطيب، إذ عليه أن يبدأ قصيدته بأسلوب إنشاد هادئ ومريح للجمهور فكأنه يرتقي «دَرَجا» يبدأ من المرقاة القريبة ثم يعلو شيئاً فشيئاً.

وتتنوع طرق قراءة طور الدرج هذا، فإذا استمعنا لأساتذة المنبر الحسيني اليوم، أو حضرنا مجالس شيوخ الخطباء، اكتشفنا تنوع أساليبهم، ليس في طور الدرج فقط بل وفي بقية الأطوار، حيث يترك كل خطيب متمرس بصمات إنشاده على الطور، بما يتحول تدريجياً إلى تميز أسلوب

الخطيب عن أسلوب خطيب آخر. فيقال مثلاً: هذا أسلوب الشيخ الوائلي، أو أسلوب الشيخ النُّويني، أو أسلوب الشيخ هادي الكربلائي وهكذا...

ويستمر الخطيب بالتزام طور الدرج، لعدة أبيات في مقدمة القصيدة، لا تقل- كحدٍّ أدنى - عن ثلاثه، وهي تبدو قليلة...

كما يمكن أن تمتد لعشرة أبيات أو ربما أكثر، وذلك حسب طول القصيدة التي يزمع الخطيب قراءتها.

بل قد يستولي طور الدرج على تمام القصيدة، إذا كان محتواها فضائلياً «أي تتحدث عن فضائل النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام» أو حماسياً أو مناقبياً. أي تكون خالية من التعريج على مصائب كربلاء وأحزانها، وهي قصائد قليلة جداً، ضمن ملف القصائد الحسينية التي يتبناها المنبر الحسيني.

والنقطة الفنية في إنهاء دور الدرج الذي تبدأ به القصيدة ومن ثم الانتقال إلى الطور الثاني وهو طور «المُثْكِل»، هو انتقال القصيدة نفسها من موضوعها الذي كان يتناول الذكريات والأطلال وتذكّر الأحبة وما إليها من موارد، إلى كربلاء وأحداثها ورموزها.

إذن؛ طور الدرج تكون بدايته هي بداية القصيدة، ونهايته بداية ذكر أحداث كربلاء، حيث يتناغم تعريج القصيدة على كربلاء مع ارتقاء الخطيب الحسيني وانتقاله من طور «الدرج» الهادىء إلى طور «المُثْكِل» الشجيّ الحزين ذي الإيقاع العاطفي الواضح، والذي يتطلب تجاوباً من الجمهور مع الخطيب بالأنين والحنين... وهنا نكون قد وصلنا إلى نهاية درسنا.

الدرس الخامس

الأطوار

أخذنا في درسنا السابق الطور الأول وهو طور «الدَرْج» حيث المرحلة الأولى، والآن نكمل بقية الأطوار والمراحل.

المرحلة الثانية : «طور المُثْكِل» بعد أن ينهي الخطيب إنشاد مقدمة القصيدة الرثائية بطور الدرج الهادي المسترسل الانسيابي، وتصل القصيدة إلى ذكر كربلاء أو مقدماتها وأحداثها، فلا بد للخطيب هنا أن يتوافق مع هذا الارتقاء، حيث يرفع من وتيرة صوته، ويودّع طور الدَرْج الذي بدأ به القصيدة، والذي أوصله إلى مستوىً يمكّنه من رفع صوته، وتغيير نبراته، وترجيع الكلمات وترديدها بأسلوب شجيٍّ من جهة وقويّ من جهة أخرى... حيث يبرز الطور الثاني وهو طور «المُثْكِل» وهو كما يدل معناه على الثُكل «وهو الفقد» والحزن والفراق واللوعة... وكل مرادفات الحزن والوجد الذي تختزنه لفظة «المُثْكِل». وهنا يحدث تغيّر فني في قراءة نفس البيت الشعري، إذ كان البيت بطور الدرج يُقرأ بأسلوب واحد تقريباً... أما في طور المُثْكِل فنجد أن صدر البيت يقرأ بأسلوب فيما يقرأ عجزه بأسلوب آخر... حيث يقوم صدر البيت بعملية تهيئة وإعداد لأذن المستمع وأحاسيسه على حدّ سواء، للتصعيد القوي والحزين الذي سيتولاه الشطر الثاني من البيت «العجز».

والشطر الثاني بدوره ينتهي بتوقّف بعد مدّ للصوت من قِبَل الخطيب، في آخر كلمة في البيت، ويفضّل أن يكون المدّ مع حرف من حروف المدّ «الألف، الواو، الياء» فيجيبه الجمهور بصوت أنين يتناغم مع الأنة، التي يطلقها الخطيب في هذه النقطة. وحينما يرفع الجمهور صوته بالأنين فإن الخطيب يسكت ليسمح لصوت الجمهور بالارتفاع والبروز، وليتّم التجاوب العاطفي المنشود من جهة، ولكي يلتقط الخطيب أنفاسه ويملأ رئتيه بالهواء وبما يمكنّه من إكمال شطر الكلمة التي توقف عندها وبأسلوب المدّ أيضاً، ثم ليجيبه الجمهور مرة أخرى في نهاية البيت تماماً...

وهو أيضاً ما يُمكّن الخطيب من التقاط أنفاسه ثانية واستعداده لإنشاد البيت الثاني من طور المُثْكِل، وهكذا...

وأقل ما يقرأ به طور «المثكل» هذا عادةً هو ثلاثة أبيات، وإلا فيمكن أن يقرأ بضعف هذا العدد أو أكثر. خاصة مع وجود خطيب متمرس يجيد هذا الطور، الذي قد يأتي بدوره بأنحاء وأساليب متغيّرة كاجتهادات صوتية - إذا صحّ التعبير - ضمن الأسلوب العام الذي يحكم طور المثكل...

وبعض الخطباء قد يكتفون بهذا الطور حيث يُنهون قصيدتهم به، ثم يوردون ما يرونه مناسباً من أبيات الشعر الرثائي الشعبي؛ باللهجة العراقية أو اللهجة الخليجية، المعروفة بالطور البحراني أو الطور الفائزي، نسبة للملاّ ابن فايز الشاعر والخطيب المعروف. نعم قد يكتفي بعض الخطباء بطوري الدرج ثم المثكل فقط، ولكن بعض الخطباء من جهة وبما تمليه وتعتاده مجالس عريقة من جهة أخرى، تحتّم على الخطيب أن ينتقل إلى الطور الثالث، الأكثر تهييجاً للعواطف واذكاءً

للأحزان، وتحفيزاً للجمهور الحسيني. وبهذا تأتي المرحلة الأخرى...

المرحلة الثالثة: لقد كنا ملزمين في المرحلة الأولى، ونحن في بداية القصيدة بالقراءة والإنشاد بالطور الهادئ وهو طور «الدَرْج» ثم كنا في المرحلة الثانية ملتزمين بالطور الذي يجعل الجمهور متجاوباً مع الخطيب في إنشاده وأنينه وهو طور «المُثْكِل».

أما في المرحلة الثالثة من مراحل إنشاد قصيدة الرثاء الحسيني والتي قد يحتاجها الخطيب الحسيني لمزيد من الإذكاء العاطفي والتفاعل الجماهيري، فإن الخطيب قد يختار فيها طريقة دون أخرى، أي أنه لا يعدّ ملزماً بحسب أعراف المنبر الحسيني السائدة - بأن يقرأ المرحلة الثالثة من القصيدة بطور معيّن، بل له الخيار بأن يختار الطور الذي يراه مناسباً، وقد يغيّره من قصيدة لأخرى أو من مجلس لآخر، أو من بلد أو منطقة لأخرى.

فقد تقرأ المرحلة الثالثة بأحد هذه الأطوار:

أ- طور الحدي... والذي قد يكون من أقدم الأطوار وأعرقها لأنه يناسب الحان العرب القديمة وطرق حدائها للقوافل والإبل، ولهذا الطور جمهوره المتعلق به، وخاصة في مجالس منطقة الخليج، حيث يصل التجاوب فيه مع الخطيب إلى أقصاه. وهو طور حزين يعين كثيراً على استدرار الدمعة وإذكاء العاطفة.

ب - طور التخميس... ولعله من أكثر الأطوار - إن لم يكن أكثرها على الإطلاق - شهرةً، إذ يتناسب مع قراءة أبيات النعي بالفصحى «القريض» أثناء المصيبة وفي نهاية المجلس الحسيني. وبه تقرأ كذلك

الأبيات المخمسة «أصلها بيت شعر تصاغ ثلاثة أشطر على وزن وقافيه الشطر الأول منه، فيكون المجموع خمسة أشطر فيسمى بالتخميس».

كمثال: نأخذ أحد الأبيات الرثائية المشهورة مثل:

إنسان عيني يا حسين أُخّي يا

أملي وعقد جماني المنضودا

للشاعر الحاج هاشم الكعبي.

فيكون التخميس كالتالي:

هذي عيالُك في الطفوف بواكيا

ناعٍ يجاوب بالأنين نواعيا

وإليكَ أشكو يا حسين بلائيا

إنسانَ عيني يا حسين أُخيّ يا

أملي وعِقد جُماني المنضودا

ومن هنا أطلق عليه طور التخميس.

وقد ينتقل الخطيب من طور المثكل إلى طور التخميس في بعض الحالات، وهذا الانتقال قد يكون مناسباً في تلك المجالس التي لم يألف روّادها التجاوب مع الخطيب بالأنين والحنين، حيث يُجهد الخطيب صوته في قراءته لطور المثكل المتقدم، مع عدم وجود استجابة جماهيرية معه يستعيد بها أنفاسه كما ذكرنا آنفاً، فيجد الخطيب أن الأفضل له - ومع عدم وجود تجاوب جماهيري بأصواتهم وحنينهم وأنينهم - ان ينتقل إلى طور التخميس الذي يثير البكاء أكثر مما يثير الأنين والتجاوب الجماهيري.

وربما يُستفاد من هذا الطور في إنشاد بعض التخاميس غير المرتبطة بالقصيدة قافيةً، لكنها تؤدي نفس المؤدى المطروق حيث يأتي بها لإكمال القصيدة، وخاصة إذا كانت أبيات القصيدة الأساسية قليلة لا تفي بالمطلوب، فيجد الخطيب نفسه مضطراً هنا، إلى إعطاء فقرة القصيدة حقها بإنشاد تخميس أو أكثر وبما يناسب نفس مضمون القصيدة نفسها.

ح - طور القزويني، وهو من الأطوار الحزينة والمشجية، ولكنه طور قليل الإستخدام من قبل خطباء المنبر الحسيني حالياً، ولهذا فهو طور لا يحظى بشهرة في عالم المنبر الحسيني، كما انه يحتاج إلى حنجرة ذات أوتار صوتية ملائمة له، وحسن إجادة إنشاده من جهة أخرى.

فهنا قد يجد خطيب المنبر الحسيني أن من المناسب له، أو أنه قد اعتاد هذا الطور بالخصوص، فينتقل إليه في إنشاد قصيدته بعد طور المثكل. إذن فالخطيب بعد إكماله المرحلة الأولى «الدَرْج» ثم المرحلة الثانية «المثكل» سيكون مخيّراً بين أربعة خيارات:

١- أن ينهي قصيدته بطور المثكل نفسه فقط.

٢-أو ينهي قصيدته بعد المثكل بطور الحدي.

٢- أو ينهي قصيدته بعد المثكل بطور التخميس.

٣- أو ينهي قصيدته بعد المثكل بطور القزويني.

وفي ختام هذا الدرس، لا بد من التأكيد، أنه لا يمكن القفز من طور «الدَرْج» إلى أحد الأطوار المذكورة أعلاه، دون المرور بطور «المُثْكِل»، لأن طور المثكل يعتبر جسراً ينتقل الخطيب به من طور الدرج إلى أطوار المرحلة الثالثة.

الدرس السادس

هيكل القراءة الحسينية

قد ذكرنا في أول موضوع فقرة القصيدة، أننا لا نشجع على إرباك الطالب بطلبنا منه أن يحفظ عدة أطوار ويجيدها، ولهذا فان طور الدرج وطور المثكل لا بدّ منهما لكل خطيب؛ وأما طور «التخميس» فيحتاج الخطيب إليه، في إنشاد القصيدة والنعي أثناء المجلس في فقرة المصيبة. فلم يبق عندنا إلا طورا «الحدي» و «القزويني»، والأهم هنا هو الأول...

هيكل القراءة الحسينية

ومع استمرار الخطيب في مسيرته الخطابية، سيتعرف على أطوار أخرى، قد ينسجم مع بعضها دون الآخر، فنراه بعد مدة قد اختص ببعض الأطوار. ولكن لا بد من التركيز هنا، انه لا بد من إجادة المرحلة الأولى والثانية؛ أي طوري «الدرج والمثكل» على كل حال.

وقد يكتفي المجلس بإنشاد القصيدة الرثائية الفصحى فقط، خاصة اذا كانت أبياتها تفي بالمطلب وتشبع الحاجة... ولكن الأمور تختلف من بيئة حسينية لأخرى ومن عرف منبري لثانٍ.

حيث تجد بعض الاعراف المنبرية في بعض مناطق العزاء الحسيني، انه لا بد من ان يأتي الخطيب بعد قراءة القصيدة وبالأطوار المذكورة آنفاً، أن يأتي بأبيات نعي باللهجة العامية العراقية

أو الخليجية كما مرّت الإشارة إلى ذلك...

فنجد بعض الخطباء يختار أبياتاً من النعي من النصّاريات، او يختار بيت «ابوذية» أو أكثر، وقد يكون هذا أكثر ملائمة مع القصيدة، التي كان الناس يتجاوبون فيها مع الخطيب في طور المثكل أو الحدي، فإذا جاء بعدهما ببيت «ابوذية» يقرأه بطريقة الأنين والحنين أيضاً، فسيكون منسجماً مع قراءة القصيدة الرثائية.

إلا أن واقع الخطابة الحسينية الحالي، قد برّز قصائد الطريقة البحرانية أو الفائزية، كأفضل خيار لقصائد اللهجة العاميّة الذي يتلى بعد القصيدة الفصحى، ببداهة أن الطريقة التي يتم بها إنشاد القصيدة الخليجية، التي تنتهي في كل مقطع بتجاوب من الجمهور بانين وحنين، وهنا يأتي الانسجام واضحاً والتناسق جلياً بين الأنين في القصيدة مع الأنين في النعي.

وقد لا يكتفي بعض الخطباء بقراءة القصيدة ثم النعي بالطريقة الخليجية بل يتبعهما بأبيات من الأبوذية العراقية فتكتمل الصورة... وتجد هذه الطريقة نجاحاً لافتاً في مجالس الخليج وبشكل واضح.

أما في المجالس التي تقل فيها ظاهرة تجاوب الجمهور مع القصيدة بالأنين، مثل أغلب مجالس العراق ولبنان، فالأفضل للخطيب أن يختار ما يجده منسجماً مع قدرة أوتاره الصوتية، بحيث لا تسبب له طريقة القراءة شدّاً لها أو أضراراً بها، خاصة في مواسم عاشوراء وصفر.

نموذج لقصيدةٍ تتلى في أول المجلس الحسيني:

أرى العمر في صرف الزمان يبيدُ
ويذهبُ لكنْ ما نراهُ يعودُ
فكن رجلاً ان تُنضَ أثوابُ عيشه
رثاثاً فثوب الفخر منك جديدُ
واياك ان تشري الحياة بذلة
هي الموت والموت المريحُ وجودُ
وليس فقيداً من يموتُ بعزّةٍ
وكل فتىً في الذّل عاش فقيدُ

حيث تقرأ الأبيات أعلاه بطور «الدرج» الهادئ المسترسل، أمّا في البيت الخامس أدناه، فيبدأ الخطيب باستخدام طور «المثكل»، لأن القصيدة تنتقل من بيان هذه الوصايا والأفكار العامة، إلى نصوص واقعة كربلاء والإمام الحسين، فيجد الخطيب أن ذاك مناسب للانتقال إلى الطور الثاني «المرحلة الثانية» أي طور المُثْكِل، حيث يتمّ المدّ في الإنشاد بالأنين قبل الأخير من حروف الكلمة الأخيرة في البيت«وهي الياء هنا»:

لذاك نضى ثوبَ الحياة ابنُ فاطمةٍ
وخاض عباب الموت وهو وحيد
ولاقى خميساً يملأ الأرض زحفهُ
بعزم له السبع الشداد تميدُ
وليس له من ناصرٍ غيرُ نيّفٍ

وسبعين ليثاً ما هناك مزيدُ

ترى لهمُ عند القراع تباشراً

كأن لهم يوم الكريهة عيدُ

وما برحوا عن نصرة الدين والهدى

إلى أن تفانى جمعهم وأُبيدوا

وهنا إذا وجد الخطيب، أن القصيدة قد وفت بالمطلوب، واكتفى بها الجمهور، فأما أن ينهيها إذا كان ذلك ملائماً للأعراف المنبرية في ذلك المجلس، وإلا أضاف لها بعض أبيات التخميس إذا غلب على ظنّه إنها كانت قليلة، فله أن يقرأ بعد الأبيات السابقة التخميس أدناه:

ما بالهمْ لا يجيبوني أما سمعوا

ولو رأوني وحيداً ما الذي صنعوا

بل هم سكارى لكاسات الردى جرعوا

نذرٌ عليَّ لئن عادوا وان رجعوا

لأزرعن طريق الطفّ ريحاناً

وهنا نلاحظ أن التخميس، جاء منسجماً مع نهاية القصيدة وموضوعها الأساسي وهم أنصار الحسين عليه السلام وحرقته على فراقهم، وإن كانت بقافية تختلف عن أصل القصيدة، وهو أمر شرحناه سابقاً.

وهنا أيضاً. قد يجد الخطيب أن القصيدة صارت تامة، وقد أدتّ المفروض منها، وقد يجد ان المجلس ما يزال يحتاج إلى مزيد من الإشباع، فأما أن يأتي بتخميس آخر يملأ الحاجة، أو يزيد

عليه بأبيات من النعي وفي نفس الموضوع وهو الأنصار... كأن يقول مثلاً:

وكَف ما بينهم والدمع سجّاب
يكُلهم هاي تاليكم يالأحباب
يصير اعتب وأنا أدري ما مش إعتاب
وعند الموت كل شيء موش ميسور

أو يضيف عليها أبياتاً من النعي أو أدبيات أبوذية، وبما يراه ويقدّره مناسباً للمجلس ونوعية الجمهور وطبيعة المناسبة.

ملاحظة هامة:

على الطالب أن يديم الاستماع لأشرطة تسجيل مجالس كبار الخطباء ومشاهيرهم، خاصة فيما يتعلّق بأساليب إنشاد القصيدة الرثائية، إضافة إلى استماعه لأستاذه الخاص في الدرس، واذا وجد طالب مميز فعليه الاستماع لزميله كذلك...

حتى تأنس أذنه طريقه معينة وينسجم ذوقه مع طور خاص، فيلتزمه ويعيده ويصقله حتى يأنس به ثم يبرع في إجادته أخيراً إن شاء الله.

وإكمالاً للموضوع، نذكر بعض عناوين اهم الكتب التي اعتنت بجمع قصائد الرثاء الحسيني بنوعيه القريض الفصيح، والشعبي العاميّ. فمن مصنفات القصائد الفصحى.

١- الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، للسيد محسن الأمين العاملي.

٢- رياض المدح والرثاء للشيخ الدمستاني البحراني.

ويمكن للطالب الاكتفاء بهذين الكتابين وله أن يتوسع، إلى غيرهما، والكتاب الثاني أوسع من الأول، وتقتنى الطبعة الجديدة المفهرسة المبوبّة.

أما كتب النعي الشعبية فهي اكثر من أن تحصى وتعد... ولكن أشهرها:

١- النصاريات الكبرى - للشيخ محمد نصّار

٢- الروضة الدكسينة، للشيخ محمد حسن دكسن

٣- منهل الشرع - للسيد عبد الحسين الشرع.

وفي خصوص الشعر الرثائي الخليجي «البحراني أو الفائزي» ديوان «الفائزيات الكبرى»، أو ديوان «فوز الفائز»، للملا ابن فائز البحراني.

الجمرات الوديّة - للملا عطية الجمري.

وهنا نكون قد انهينا فقرة القصيدة، والتي قد رسمناها بشكل خط متقطع إشارة أنه قد يستغني عنها كلياً في بعض الأقاليم أو بعض المجالس كمجالس شهر رمضان.

الدرس السابع

المحاضرة

سبق لنا أن توقفنا عند الفقرتين الأولى والثانية، من فقرات خطبة المنبر الحسيني؛ وهما فقرتي «المقدمة والقصيدة». وبقي علينا أن نكمل بقية الفقرات، فنبدأ درسنا هذا بالفقرة الثالثة وهي:

٣ - المحاضرة:

فبعد تلاوة القصيدة يأتي دور الموضوع، الذي يبدأ إما بآية قرآنية أو بحديث للنبي ﷺ أو حديث لأحد المعصومين عليهم السلام، وربما يبدأ ببيت شعر كعنوان لطرح الموضوع، الذي يكون محاضرة معدّة ومهيئة، تتضمن الموضوع الذي يمكن أن يتطرق إليه الخطيب الحسيني وفقرة الموضوع هي التي ستكون مدار دراستنا وبحثنا في الدروس المقبلة إن شاء الله، وبهذه الفقرة يتمايز الخطباء وتبرز قدراتهم واستعداداتهم الثقافية العلمية، وإلا فالقصيدة واحدة ومصادرها موجودة، والمقدمة كذلك، ولا يبقى مجال للتمايز إلا فقرة الموضوع هذه وفقرة المصيبة في آخر المجالس وإن كان على مستوى آخر.

إن الأساس في قوة الخطيب كطرح هو هذا الموضوع وهذه المحاضرة التي يطرحها، قوة الموضوع الذي يتناوله وأهميته في الساحة. هل أن الناس تحتاج إليه؟ هل أن الأمة تشعر بأنها تسترفد

من هذا الموضوع، بحيث ينعكس على أخلاقها، وينعكس على واقعها، وينعكس على سلوكها أم لا.

إن على كل خطيب أن يبذل أقصى جهوده حتى تكون له ثقافة جيدة من جانب وله قابلية لإذكاء عاطفة كربلاء من جانب آخر، عنده دراية ولديه قدرة في صياغة المحاضرة كما له قابلية في إستدرار الدمعة وتأجيج العاطفة.

صحيح، أن الشيء كلما ازدادت شروطه عزّ وجوده، كما يقول المناطقة، لكن بهذا يتميز الخطيب ويبرّز ويفضّل.

وكما سبق أن بيّنا؛ فإن القصيدة موجودة ومتوفرة عند الخطباء وقرّاء العزاء، في دواوين وكتب معروفةٍ متداولة، ويمكن لكل واحد أن يقرأها، ولكن لا يمكن للخطيب الحسيني أن يكرر الموضوع بحذافيره، أو ينقله من الآخرين، نعم يمكن أن يستفيد من طرح بقية الخطباء.

ونؤكد دائماً إنما يتمايز الخطباء فيما بينهم بالمحاضرة، وبما يكون مجالاً للإبداع والعطاء، وفي بعض المجالس المهمة قد يستغني عن القصيدة بعد المقدمة، وتعظم أهمية الموضوع إذا عالج مسألة من الواقع، أو عقد مقارنةً بين الحاضر ومصيبة أهل البيتعو. فإذا طرح الخطيب موضوع الدين مثلاً، وأهميته في المجتمع ودوره في التربية وخير الإنسان، ويتم التركيز على الدين بأنه أساسي وضروري للإنسان فرداً ومجتمعاً، ويورد أدلة وشواهد وإحصاءات، ثم يقول بعد ذلك وأنه قد ضحى من أجل الدين الأنبياء والأئمة. الدين الذي هو أساس العزة

والكرامة، ولهذا نجد أن العباس يوم عاشوراء، لما قطعت يمينه قال:

والله إن قطعتموا يميني

إني أحامي أبداً عن ديني

.. وهكذا يتم مجلسه ومحاضرته...

وإن خطيب المنبر الحسيني يحتاج إلى مدة ليست بالقليلة، يتعلم فيها ويتدرب، على كيفية إعداد المحاضرة النافعة لمنبره، كما عليه المزيد من الاستفادة من تجارب شيوخ الخطباء، والمزيد المزيد من التجربة والقراءة المستمرة. وأن لا يتلكأ عن الاستجابة لأي مجلس حتى تتكون عنده تراكمات إيجابية، تسهم في بروزه كمحاضر، وبنفس الوقت ليعرّج على كربلاء ويذكّر الناس بأيام الحسين عليه السلام.

إذاً ما هي العناصر التي إذا توافرت في الموضوع، فإن هذا الموضوع يكون جذّاباً ونافعاً؟

وكيف يمكن أن يكتب الخطيب محاضرة من محاضرات المنبر الحسيني؟

وما هي الشروط التي يجب أن يهيأها الخطيب حتى تكون محاضرته وموضوعه جيداً؟

وكيف يمكن أن يكون الخطيب الحسيني خطيباً متكاملاً؟ هذا ما يجب الحديث عنه.

لقد ذكرنا: كيف وصل المنبر الحسيني في هذه الأيام أو في هذه المرحلة، إلى منبر تربوي تثقيفي، أثقل كاهل الذين يريدون أن يخوضوا غماره، حيث يجب أن تتواجد فيهم عدّة مواصفات، ينبغي

لهم أن يُجهدوا أنفسهم في توافرها، وكلما استطاع هذا الخطيب أن يتعب نفسه في تهيئة الشروط، التي ينبغي أن تتوافر، فإن نصيبه من النجاح يكون أوفر أو أكثر.

ولمزيد من التوضيح من جهة، ولكي تكون محاضرتنا علمية ونافعة من جهة أخرى، فإنه يمكن لنا أن نقول:

إن المحاضرة يمكن أن تُقسّم إلى عدة خطوات:

أ - فقبل الدخول في صلب الموضوع هناك عنوان للمحاضرة.

ب - يأتي بعد ذلك التمهيد.

ج - صلب البحث.

د - ثم الإعداد لفقرة التخلص بالانتقال إلى المصيبة.

فحينما يبدأ الخطيب بالموضوع، يبدأ بعنوان من آية قرآنية أو حديث عن النبي ﷺ أو عن أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام، أو قد يكون بيت شعر مع شرحه أو حكمة معينة، فلا بد أن يبدأ الموضوع بعنوان للمحاضرة. فإذا أراد طرح محاضرة حول موضوع الصبر فعليه أن يبدأ بآية تتحدث عن الصبر، وإذا كانت المحاضرة عن موضوع أخلاقي فتختار آية أو حديث أو حكمة تتحدث عن الأخلاق، وهكذا ففي المثال الأول وحينما تطرح الآية القرآنية مثل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة...» أو «اصبروا وصابروا ورابطوا» حيث يفهم المستمع أن المحاضرة ستدور حول الصبر.

إن من الأسس المهمة لنجاح كل عمل، أن يبني هذا العمل وفق خطّة علمية صحيحة. وكلما كان هذا العمل مستوعباً شرائط هذه الخطّة

فإنه يكون أكثر حظّاً في النجاح والتوفيق. ولهذا نجد أن من فوائد الدراسة الأكاديمية وخاصة الدراسات العليا، أنها تجعل ذهنية الطالب والباحث، تسير وفق أسلوب علمي، وخطوات مدروسة تعتبر كل خطوة تمهيداً للخطوة التالية. وقد ألّفت كتب خاصة مهمتها كيفية كتابة بحث علمي من رسالة أو أطروحة.

وخطيب المنبر الحسيني، له في مجلس من مجالسه بحث مطروح، فهو -في الواقع- باحث علمي، يختار عنوان بحثه، ثم يشمّر عن ساعد الجهد والبحث حتى يعطي كل عناصر القوة والعلم لموضوع بحثه، الذي يتناول حقولاً شتى.

فإذا كان طالب الدراسات العليا في الجامعات، يحتاج إلى أسلوب البحث العلمي عندما يقدم رسالته «الماجستير» أو أطروحته «الدكتوراه» فقط فإن خطيب المنبر الحسيني يحتاج هذا الأسلوب في كل مجلس من مجالسه، وحسب الإمكانيات والظروف المتوافرة. مع الأخذ بالاعتبار مميزات وخصائص البحث الذي يتناوله خطيب المنبر الحسيني.

إن النقاط الأربع المذكورة أعلاه، يمكن أن تشكّل النقاط الأساسية التي تمثّل الطريق الأفضل، لإعداد محاضرة نافعة ومفيدة لروّاد المجالس الحسينية المباركة، وبما تعين الخطيب على تلمّس الخطوات الأكثر علمية في عمله الرسالي المبارك.

وأفضل عنوان يختار في محاضرة المنبر الحسيني هو آية من القرآن الكريم، وهو ما تميزت به مجالس الشيخ أحمد الوائلي. وهو ما سنواصله في درسنا القادم، إن شاء الله.

الدرس الثامن

تطور محاضرة المنبر الحسيني

جرى الكلام في الدرس السابق عن محاضرة المنبر الحسيني، وأهميتها في تميّز الخطباء، ثم ذكرنا الخطوات التي نجدها الطريقة الأفضل لإعداد هذه المحاضرة. وبدأنا بعنوان المحاضرة وقلنا أن الأفضل أن تكون آية قرآنية كريمة. وكانت مجالس الشيخ أحمد الوائلي بهذه الميزة قد فرضت جوّاً يؤيدها في أعراف المنبر.

والواقع أن الشيخ أحمد الوائلي أحدث نقلة في موضوعات المنبر الحسيني حينما بدأ بآية قرآنية، وكان قد مرّ بنا في دروس سابقة أن الشيخ كاظم سبتي هو أول من بدأ محاضراته بقطعة من نهج البلاغة، ولم يكن هذا الشيء مألوفاً سابقاً، إذ كان خطيب المنبر الحسيني يقرأ القصيدة ويأتي بخبر تأريخي أو بقصة بسيطة، أو بموعظة ثم يُعرِّج على كربلاء، وكان الشيخ كاظم سبتي يحفظ نهج البلاغة عن ظهر قلب، فدائماً يبدأ بقطع من نهج البلاغة ويشرحها وهذه الخطب هي مادة غنية يستطيع الإنسان أن يتحدث عن .... الكثير من المفاهيم والأفكار. «راجع كتاب ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر محبوبة وهو يترجم للشيخ كاظم سبتي». كما كان لشيوخ المنبر البارزين إبداعاتهم في هذا المجال، وللأمانة التاريخية، فإن

الشيخ الوائلي لم يكن هو أول خطيب يفتتح محاضرات بآية من القرآن الكريم، فقد سمعت العلامة المرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب «ت: ١٤١٤-١٩٩٤» يقول: كان الشيخ محمد علي اليعقوبي تارة يبدأ مجالسه بآية وتارة بحديث وأخرى بقطعة من نهج البلاغة. أما الشيخ الوائلي فقد ألتزم الآية القرآنية عنواناً لمجالسه بصورة مستمرة حتى صارت سمةً له.

يقول الشيخ الوائلي: في كتابه «تجاربي مع المنبر الحسيني» أنه قد قال له أحد أصحاب المكتبات: أن عنده أجزاءً من التفسير الكبير للفخر الرازي لكنه ليس كاملاً، ولما قرأ الشيخ الوائلي الكتاب، وجد فيه أبعادا غريبة ورائعة في تفسير كل آية؛ حيث تفسر إلى عدة آراء وأبعاد، مما جعل الكتاب يجذبه بشدة، يقول الشيخ: لم أترك هذا الكتاب إلا عندما أنهيته، ومنذ ذلك الوقت تغير أسلوب الشيخ الوائلي كثيراً، وصار عنده توجه آخر حيث أخذ يعتمد على هذا التفسير وبشكل بارز.

إن مما يميز محاضرة وموضوع المنبر الحسيني أن على الخطيب أن يأتي بشواهد من الأدب أو التاريخ أو العلم أو الحديث على القول الأول، وشواهد أخرى على القول الثاني وشواهد ثالثة على القول الثالث، وهكذا وذلك حينما يذكر الآراء المختلفة في تفسير آية ما. حتى يكتمل المجلس ويشبع الموضوع. مثلاً، عندما يتحدّث الخطيب عن العلم، فإن عليه أن يأتي بأحاديث حول العلم وبقصص وشعر حول العلم، وقد يأتي بها من عدّة مصادر، لكي لا يكون هناك ملل أو سأم

يبعد المستمعين عن الخطيب ومحاضرته، وحتى يتماسك الموضوع، ويخرج المستمع بوضوح في الرؤية. بل ولكي يبقى روّاد المجالس الحسينية مستذكرين للمطالب الأساسية في الموضوع، عبر تذكرهم القصص والشواهد التاريخية والأدبية. ولهذا كان لا بد من الاهتمام بالمصادر التي توفّر هذه الشواهد وسيأتي الحديث عنها. إن أفضل ما يمكن للخطيب أن ينطلق منه القرآن الكريم؛ الذي عالج كل ما يحتاجه الإنسان، حيث أكد على الأخلاق والآداب وقصص الأنبياء ومختلف شؤون الحياة، هذا في المجالس العامة. أما بالنسبة لمجالس المناسبات أي التي تعقد في ذكريات المعصومين عليهم السلام. فإنها تعتمد على أمور:

١ - العنوان:

فإن على الخطيب أن يختار العنوان الملائم للمناسبة، ففي استشهاد الإمام علي عليه السلام يختار الخطيب آية قرآنية نزلت في حقّه عليه السلام أو حديثاً في حقه أو كلمة من كلماته عليه السلام. وفي استشهاد الزهراء عليها السلام يجب أن يختار الخطيب قولاً للسيدة الزهراء عليها السلام أو مقطعاً من خطبتها أو قولاً لأمير المؤمنين أو قولاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في حقها عليها السلام أو قول لرسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن عليه السلام أو الحسين عليه السلام في مناسبات الحسنين عليهما السلام. إن مجالس استشهاد المعصومين عليهم السلام ينبغي أن يبدأ بحديث أو بآية قرآنية تتعلق بأهل البيت عليهم السلام مثلاً الآية التي تقول ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أو آية المباهلة أو الإطعام وذلك حسب المناسبة. أما في

المجالس العامة فإن أفضل ما يبدأ الخطيب به هو القرآن الكريم كما ذكرنا ذلك، لأن القرآن له جاذبية خاصة وقوة وتأثير خاص في النفوس.

إذاً الخطيب حُرٌّ بأن يختار العنوان الذي يراه مناسباً، لكن أفضل العناوين القرآن الكريم، ومع اتساع مجالسنا وحضور مسلمين من كل المذاهب، فإن القرآن هو أفضل ما يمكن أن يوحِّد المسلمين.

٢ - التمهيد:

هذا ما يتعلق بالعنوان، وبعد ذلك على الخطيب أن يبدأ بالتمهيد فإذا كان موضوعه حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي بعنوان ينطلق بآية فيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر مثل قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ وبذا يهيئ الخطيب ذهن المستمع للموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه. ثم لا بد بعد ذكر العنوان من تمهيد مناسب ينبّه المستمعين إلى المحاضرة، كأن يقول مثلاً كتمهيد لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الإسلام جاء هبة ونعمة من الله تعالى لكي يسعد هذا الإنسان، إذا اتبع قيم الإسلام ومفاهيمه ومبادئه فإنه يعيش في سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة، ولهذا فإن الإمام علي عليه السلام يقول في كتابه إلى مالك الأشتر لمّا ولاّه على مصر، في حق الشريعة: واعلم أنه لا يسعد أحد إلا بإتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها ونكرانها.

والشريعة الإسلامية جاءت لخير الإنسان، ولهذا فإنها قد وضعت عدة أمور لكي تحافظ على هذا المجتمع المسلم ولكي تؤسس السعادة

له، ومن هذه الأمور التي وضعتها يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذه الأسطر نموذج عن تمهيد مقترح لموضوع حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكمثل آخر لتمهيد آخر تقول مثلاً: أن الإسلام سعى إلى أن يربى الإنسان المسلم على أن يكون ذا حسّ بالمسؤولية وعلى أن يكون شاعراً بالمسؤولية الملقاة عليه، لأن الإنسان أساساً هو خليفة الله في أرضه، والإنسان مخلوق مسؤول وهو يختلف عن بقية الحيوانات ففيه جانب العقل وجانب الشهوة. والإسلام جاء ليركز مفهوم المسؤولية في ذهن الإنسان المسلم ويربيه على أن يكون له حسٌ اجتماعي مسؤول،ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا أسلوب آخر لتمهيد حول نفس الموضوع، إذن فعلى الخطيب جهد الإمكان أن يبدأ بتمهيد قبل أن يدخل في صلب الموضوع. وأما مصادر التمهيد فإنها تأتي من كثرة المطالعة، وكثرة القراءة وكثرة الاهتمام بالفقه الإسلامي ومتابعة الثقافة الإسلامية،التي تؤدي إلى نضوج عقلي وذهني ومستوى من الفهم الإسلامي والثقافة الإسلامية العامة ومن خلالها يستطيع الخطيب أن يهيئ لكل موضوع تمهيداً. والتمهيد يجب أن يكون قصيراً وفيه جاذبية، تهيئ المستمع للمحاضرة بحيث لا يستوعب المحاضرة، كما وينبغي أن تكون نفس المحاضرة فيها جاذبية بحيث تستقطب أذهان المستمعين وتجذب استماعهم، كما ألمحنا إلى ذلك.

إن التمهيد هو أول إطلالة على المستمع، وقد يكون التمهيد عبارة

عن خبر أو عن قصة، أو مأخوذة عن مجلة أو جريدة، أو فكرة مستلّة من كتاب أو أي أمر يشدّ الناس إلى المحاضرة وبما يناسب موضوعها.

فلو أردنا طرق موضوع يتحدث عن الجوار وعن الجيران مثلاً فإنه يمكن أن يقال كتمهيد أن المجتمعات الغربية فقدت الكثير من العلاقات الإنسانية، حيث ذكرت بعض الصحف والمجلات، أن هناك جاراً في النرويج لم يتعرف على جارهِ خلال اثنين وعشرين سنة وهما يركبان نفس الحافلة ويرجعان طوال هذه المدة الطويلة وهو جار له في منطقته كذلك. إن هذا الخبر يشد المستمع إلى المحاضرة، وننطلق منه لنؤكد كيف أن الإسلام أكد على مسألة حسن الجوار، بالرجوع إلى الآية الكريمة المتعلقة بالجوار. وبعد هذا التمهيد تكون المحاضرة قد توفرت لديها عوامل استماع الناس وشدهم إليها.

وبعد اختيار التمهيد نسأل عن كيفية كتابة المحاضرة، وكيفية تهيئة الموضوع؟

وما هي الشروط التي يجب أن تتوافر في المحاضرة حتى يصل الخطيب بها إلى مستوى بحيث يجذب وينفع ويفيد الآخرين.

هذا ما سنتوقف عنده في درسنا القادم إن شاء الله.

ولا بد أن نؤكد هنا، أن الخطيب يكون في حاجة ماسة جداً إلى حسن البيان والـ، الأسلوب الأدبي، لأن الخطابة لا تكتمل بأخذ دروس في علم الخطابة، حيث تعطى قواعد عامة بل هي توجه ذاتيّ عند الإنسان إلى حدّ كبير، حينما يكون عنده رغبة خاصة واستعداد فعليه أن يسعى لتنميتهما وتقويتهما، وتأتي دورات الخطابة الحسينية

كأسلوب لتوجيه القدرات الذاتية، ولذلك يقال: إذا أردت أن تنجح في عملك عليك أن تكون محبّاً لهذا العمل عاشقاً له، فكيف إذا كان هذا العمل ذا أبعاد رسالية وشرعية، حيث يمس عقائد الإنسان المسلم وفكر أهل البيت عليهم السلام ويتناول تفسير القرآن. إنها مسؤولية كبيرة، فعلى الخطيب أن يتعب نفسه ويجهد تفكيره وعقله، تعباً كثيراً ويحضّر تحضيراً مستمّراً، حتى يمكن أن يعطي العطاء النافع والعطاء المفيد، قال تعالى في كتابه العزيز «وقفوهم إنهم مسؤولون».

الدرس التاسع

كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني(١)

تحدثنا في دروسنا السابقة عن نشوء المنبر الحسيني، وكيفية وصوله إلى هذا المستوى الذي عليه الآن.

وبروز مجموعة من الخطباء الذين رفعوا من شأن المنبر الحسيني ووسعوا من دائرة معالجاته واهتماماته ثم تحدثنا عن هيكلية المنبر الحسيني والفقرات التي تتألف منها الخطابة الحسينية، وهي المقدمة - القصيدة -- الموضوع - الانتقال «التخلص» - الدعاء، ثم بيّنا كيفية كتابة البحث حيث لا يُطلب فقط الإقتصار على الأشعار الرثائية والجانب المأساوي في واقعة كربلاء، بل أن المطلوب كذلك أن يقوم الخطيب بطرح الموضوع الذي ينمّي العقل، ثم يأتي دور العاطفة التي تحتاج إلى من يؤججها ويوجّهها بحيث يجعلها منسجمة مع أجواء كربلاء وبما يُهذّب النفس وبما يناسب مع كرامة أهل البيت عليهم السلام.

أن الموضوع ولكي يتم كُلّه ويكون بمستوى جيّد يقسم إلى أقسام كما مرّ بنا:

١ - العنوان وأفضله الآية القرآنية الكريمة، حيث ستكون مضامينها وأبعادها هي مادة المحاضرة، وعلى الخطيب أن يطّلع على التفاسير التي تشكّل المادة الأساسية لمحاضرته التي تتناول آية قرآنية

كريمة، وهنا يمكن أن نسأل:

ما هي التفاسير التي يمكن أن يستفيد منها الخطيب في هذا الباب؟.

إن هناك عدة تفاسير للقرآن الكريم منها تفاسير قديمة وأخرى تفاسير حديثة.

ومن التفاسير القديمة مجمع البيانب للطبرسي «للشيعة» ومن تفاسير السنة ..... التفسير الكبير «للفخر الرازي» والذي كان له أثر كبير على منهج الشيخ الوائلي كما مرّ بنا في درس سابق.. فعندما يأخذ الخطيب آية لها عدة تفاسير فإنها تفتح له عدة آفاق في كتابة المحاضرة.

أما التفاسير الحديثة:

فبالنسبة إلى تفاسير السنة يوصى بتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب ففيه صياغة أدبية في تفسير كل آية وهي مما تغني وتنمي الجانب الأدبي، وهو شيء مهم في عموم الخطابة ولا سيما الخطابة الحسينية. فكلما كان الخطيب متألقاً في أسلوبه الأدبي، ويستخدم الألفاظ والمفردات الأدبية المناسبة، فإن تأثّر المستمع يكون أمراً واضحاً مؤكَّداً.

ومن كتب التفسير الشيعية الحديثة تفسير الميزان للسيد محمد الطباطبائي، ولكن الأنسب لمحاضرات المنبر الحسيني هو تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم شيرازي، إن تفسير الأمثل هو مجموعة تفاسير مختارة ويعطي عدة آراء. وبالنسبة لخطيب المنبر الحسيني فإن هذا التفسير يمكن أن يعتمد عليه ولو في بداية حياته الخطابية

ثم يتوسع مع توسعه في الخطابة الحسينية.

هذه التفاسير وغيرها ترفع من مستوى الخطيب وتحسّن من أدائه، ويبدأ إبداع الخطيب وجهده الذاتي حينما يبدأ بعرض الموضوع وعرض الفكرة، وفيها يتضح إذا كان مميزاً أم لا، وإذا كان مطّلعاً أم لا. وللتذكير، فقد قلنا في درسنا السابق أن «التمهيد» يأتي بعد عنوان المحاضرة وهذا التمهيد قد يحصل من تفاسير القرآن نفسها. ولكنه يأتي في الأساس من خلال الثقافة الإسلامية العامة، ... كتب الثقافة الإسلامية العامة والمجلات وأي مصدر للأفكار، حيث يقوم الخطيب بعملية اقتناص للأفكار والنقاط التي تجذب المستمعين إلى المحاضرة وتشدّهم إليها.

ونورد مثالاً آخر كما ذكرنا أمثلة سابقة في درس سابق عن التمهيد. فإذا أردنا أن نتطرق إلى موضوع الإنفاق مثلاً فيمكن أن نقول كتمهيد، من فكرة وردت في بعض الكتب الإسلامية، تقول: إن مكافحة الفقر في الإسلام يساهم فيها الفرد المسلم كما تسهم بها الدولة.

ولا يقتصر فيه على الدولة فقط كما في الأنظمة الغربية، وهذا يمكن أن يكون تمهيداً لموضوع الإنفاق في الإسلام، وخلال التمهيد يكون المجال واسعاً أمام الخطيب لجذب الجمهور، ثم تأتي مهمة الموضوع، ويأتي بالبحث نفسه، وهو مادة الموضوع وهذه المادة يجب أن تكون على شكل نقاط جهد الإمكان لكي يتم تفاعل الجمهور مع المحاضرة أولاً، وتعينه على التذكر وعدم النسيان من جهة أخرى،

إضافة إلى بروز المحاضرة بأسلوب علمي وشيق من جهة ثالثة.

عندما تكون المحاضرة ضمن نقاط، فإن الموضوع يكتسب نهجاً علمياً نافعاً، وهي تعين نفس الخطيب على التذكر ومتابعة المحاضرة، كما أن هذه النقاط وعندما يستمع لها الجمهور فإنه سينجذب نحو الخطيب كما قلنا يجب على خطيب المنبر الحسيني أن يحسن فن المتابعة الجماهيرية لمحاضراته، عليه أن يحمل دائماً همّ محاضرته حتى يوفّق للنجاح والتأثير.

أما إذا كان طرح الموضوع يتم بصيغة سرديّة ودون طرحه ضمن نقاط، فإنه قد يحصل تنافر وشرود ونسيان وملل، فعلى الخطيب أولاً أن يركز الموضوع في ذهنه بالذات على شكل نقاط. نقطة أولى ونقطة ثانية ونقطة ثالثة، وهي النقاط التي نستفيدها من التفاسير والكتب، الإسلامية والثقافية العامة، التي ينبغي على الخطيب أن يقرأها في متابعة لكل شيء يفيده.

إذن، فقد بدأنا الموضوع أو المحاضرة بعنوان وبعد العنوان اخترنا تمهيداً مناسباً للمحاضرة استفدناه من عموم ثقافتنا ومطالعاتنا، ثم يأتي دور صلب المحاضرة التي ذكرنا أنه يفضَّل كونها ضمن نقاط، وهي التي نستفيدها من التفاسير التي تعطينا عدة معانٍ للآية أو نطرح أمامنا أكثر من بُعدٍ للآية القرآنية المباركة، فعلى سبيل المثال لو كان عنوان المحاضرة حول الإنفاق، فيمكن أن تكون المحاضرة حول أنواع الإنفاق، إذ يمكن أن ينظر إلى الإنفاق بعدة أنواع: منه الإنفاق المالي ومنه الإنفاق العلمي، و الإنفاق بالنفس وبالروح من أجل الله عزّ

وجل، ثم يأتي إلى بيان كل نقطة، فإذا ذكر الإنفاق المالي فإن على الخطيب أن يهيئ حول هذه النقطة ما يبيّنها ويشرحها مسندة بالنصوص المناسبة المطلوبة، ويرصّع كل نقطة بما يمتلك من شواهد مثل بيت شعر مناسب أو قصة ملائمة لنقطة البحث هذه.

ونؤكد؛ أنه يجب أن تكون المقطوعة الشعرية أو القصة متناسبة مع كل بعد أو معنى من أبعاد ومعاني الآية، فالمهم أن يشبع البحث بتنوع أدواته، بحيث يكون المجلس مائدة متنوعة؛ فيجد الإنسان أن نفسه تُقبل على هذه المائدة، كما يُقبل المدعو على الطعام فهو حينما يرى المائدة متنوعة فإن نفسه تقبل عليها، فكذلك المستمع عندما يستمع إلى الخطيب وهو مرة يأتي بقصة ومرة بحديث ومرة بشعر ومرة يقوم بإجراء مقارنة وتارة بإحصائية أو دراسة حديثة، فحينها يشعر المستمع، أن عند الخطيب عطاءً متنوعاً وفائدة متعددة، فينجذب إليه وتتم الاستفادة ومن ثمّ التربية والإعداد، وهكذا يؤدي المنبر الحسيني رسالته التربوية المطلوبة.

يجب أن لا نُغفل النصوص، وخاصة الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام، حيث تقوم بدور كبير في تركيز المفهوم وتقوية النقاط وشد المستمع.

ومن الكتب المميزة والميسرة، في تهيئة الأحاديث المناسبة لمختلف المواضيع في هذا الباب: كتاب ميزان الحكمة، وهو كتاب رائع ومبوب لعناوين وموضوعات كثيرة التي يمكن أن يستفيد منها الخطيب، والموضوعات الواردة هي حسب الحروف الأبجدية، وقد تكون

الأحاديث بذاتها، هي التي تفتح للخطيب أبواباً جديدة في المحاضرة. أحاديث معينة في موضوع معين تفتح آفاقاً جديدة لم تكن قد اكتشفها الخطيب من قبل. أحاديث وروايات تغني الآية الكريمة بحثاً وأبعاداً ومعانٍ فكما أن كتب التفسير تضع بين يدي الخطيب عدة آراء وأبعاد لكل آية بما تفتح أمامه مجالات الإبداع والتألّق، فإن وفرة الأحاديث عن أي موضوع من الموضوعات تفتح بدورها آفاقاً أخرى ومجالات جديدة تضاف إلى ما يستفاد من آراء المفسرين، إضافة إلى هذه الأحاديث والروايات تشكل شواهد مهمة لكلِ رأي أو بعد تفسيري نأخذ به. والكتاب من تأليف الشيخ محمدي ري شهري.... وهو كتاب نافع جداً ولا يستغني عنه خطيب أو محاضر أو مؤلف كذلك.

إن مسؤولية خطيب المنبر الحسيني كبيرة ومتعددة، حيث ينهض الخطيب بمهمات كبيرة جداً. ويمكن لك أن تقدر عظم هذه المسؤولية في تلك التجمعات الحاشدة في مواسم الخطابة الحسينية في محرم وصفر وشهر رمضان، أو حينما يدعى الخطيب إلى جالية إسلامية مغتربة تستمع إلى محاضراته بكل نهم ولهفة. فخطيب المنبر الحسيني لا يمكن أن يحدد مصادر الخطابة الحسينية بنحو معين من المؤلفات، إذ أن كل شيء يمكن أن ينفعه في مجالسه من المجلات والكتب والقصص، مصدر يوفر المعلومة النافعة التي يمكن للخطيب أن يوظّفها في المحاضرة، ومن خلالها يستطيع الخطيب أن يوصل رسالته. وأذكر هنا كلمة لأحد أساتذة المنبر الحسيني وهو المرحوم العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني حينما قال له أحد الخطباء:

لقد نضبت محاضراتي ولا أجد ما أتحدث عنه!! فقال له السيد الحسيني رحمه الله: يمكن لك أن تتحدث في موضوعات من آدم عليه السلام إلى عبد الكريم قاسم.. الذي كان رئيساً للعراق آنذاك... نعم فمساحة الخطابة الحسينية واسعة ومتعددة.

وعلى الخطيب أن يتعب ليله ونهاره باستمرار فهو في همٍّ وتوثّب لا يهدأ، يقنص كل شاردة وواردة يمكن أن تعينه ذات يوم على محاضرة من محاضراته، أو جلاء فكرة من الأفكار التي يريد طرحها.

وعوداً إلى مثالنا السابق... عندما تحدثنا عن الإنفاق وأن له عدة جوانب، هناك إنفاق بالمال والعلم وبالنفس حيث يوظّف ما عنده من أحاديث وأفكار وأشعار وقصص في كل جانب من جوانب الإنفاق التي ذكرها والتي ينبغي أن تكون ضمن نقاط كما أسلفنا. ثم يقول في نهاية مجلسه أن الإمام الحسين عليه السلام جسَّد كل أنواع العطاء هذه يوم عاشوراء، أنفق كل أمواله في سبيل الله، ونشر عليه السلام للناس من علمه وما ترك شيئاً من ما عنده من أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علم رسول الله صلى الله عليه وآله في حق أهل البيت عليهم السلام إلا وأخبر الناس به.

وعندما رأى الإمام الحسين عليه السلام أن الناس لم يستفيدوا من العلم ومن الحجج الدامغة نزل عندئذٍ إلى الميدان بسيفه ليعطي نفسه الزكية فداءً لدينه.. وهكذا يعرِّج على كربلاء وآلامها.. إن على الخطيب أن يستنفر طاقات نفسه بأن يهيئ المحاضرة التي تكون حاوية للأمور المهمة والنافعة ويرصّع محاضرته بالشواهد المناسبة من النصوص والأدب والتاريخ.

ونؤكد على ضرورة أن يكون الموضوع مؤلفاً من عدة نقاط، ونعود ونذكّر بأن إيراد النقاط فيها فوائد عدة:

١ - تجعل الجمهور يتابع المحاضرة مع الخطيب.

٢ - النقاط نفسها تعين الخطيب على التذكر.

٣ - ترفع حالة السأم وتشد الجمهور تجاه الخطيب.

ثمّ يتبارى الخطباء في كثرة ما عندهم من معلومات وكثرة ما عندهم من ثقافة.

إنّ خطيب المنبر الحسيني لا يمكن أن تحدَّد ثقافته بمصدر معين، كل شيء نافع هو مما يعني الخطيب بما يزوده من معلومات. فحتى إذا لم يستفد منها في وقته، فقد يأتي الوقت المناسب لذلك.

ولهذا على كل خطيب أن يكون لديه دفتر خاص يجعله معه، ويرافقه أينما يذهب ويدون فيه كل شيء، فقد تقرأ بيتاً من الشعر وأنت في الشارع، أو تقفز إلى ذهنك فكرة، فعليك تسجيلها في دفترك هذا، فهذا الدفتر يكون للخطيب نِعْمَ المُعين وهو مفيد جداً له. هذا الدفتر الجيبي مما يلازم الخطيب الناجح بل إن المطلوب من كل إنسان يسعى لأن يفيد الناس، فإن عليه أن يدوّن ويسجّل كل شيء يمكن الإستفادة منه ولو مستقبلاً؛ كما يجب عليه الإحتفاظ والاستفادة من الكتب الأدبية لحفظ النصوص والأشعار والشواهد الأدبية. وكذا يقال عن المؤلفات التاريخية والثقافية العامة.

ولا نحتاج إلى تأكيد أهمية الكتب والمصادر التي تشكل القاعدة الأساسية لثقافة كل خطيب حسيني، وهي كتب المقاتل؛ الجديدة منها

والقديمة. فالتي تعتبر ذات أثر كبير في الأهمية والخصوصية في ثقافة ومعلومات خطيب المنبر الحسيني لأن مادة المقاتل تعتبر الركن الأساسي الذي بني عليه المنبر الحسيني في نشوئه وكل مراحل تطوره، كما أن لكتب المقاتل من جهة والبحوث والدراسات والمؤلفات في ثورة الحسين عليه السلام من جهة أخرى أهمية كبيرة لا فقط في تهيئة «التخلص» أو «المصيبة» بل وفي صلب أبحاث المحاضرات التي تتلى في مجالس عاشوراء.

الدرس العاشر

كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني(2)

لقد قلنا أن أهم المصادر التي يمكن أن يعتمد عليها خطيب المنبر الحسيني في تهيئة الموضوع هي كتب التفاسير وكتب الأحاديث الشريفة للنبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام وما كتبه العلماء والمفكرون والمؤلفون الإسلاميون من مؤلفات ودراسات تناولت الأبعاد المتنوعة للفكر الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام. إضافة إلى بعض المصادر التي تهيئ ما يسمى بالشواهد الأدبية والتأريخية من قصص وشعر وروايات، وبما يتلائم وفقرات الموضوع.

- ولقد ذكرنا أن الآية القرآنية: هي أفضل عنوان للمحاضرة في هذا المجال يمكن أن نستفيد من كتاب «المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم» للكاتب محمد فؤاد عبد الباقي هو كتاب مهم بالنسبة للخطيب حيث يتم من خلاله استخراج الآية وموقعها في القرآن الكريم بيسر ودقة.

- أما بالنسبة للمحاضرة: حيث يتم الاستفادة من كتب التفسير كما ذكرنا آية قرآنية وهي تعين كثيراً في هذا المجال وتفتح أمام الخطيب مجالات للإبداع والتألّق. وهناك كتب تفسير كثيرة ولعل من أنسبها للخطيب تفسير «الأمثل» لمؤلفه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حيث أن هذا الكتاب يذكر لكل آية كريمة عدة آراء تعين الخطيب على

وضع هيكلية نافعة لمحاضراته.

إن لكل كتاب تفسير ميزة، فبعضها لها اتجاه أدبي وبعضها لها اتجاه فلسفي وبعضها فيها اتجاه لغوي حسب اتجاه المفسرين واختصاصهم، ولهذا فإن من الأفضل لموضوع المحاضرة يجب أن يكون مشتملاً على آراء المفسرين من كافة الاختصاصات، حيث ينظر، كل واحد إلى الآية من بعد حتى تعطي الآية أبعاداً مختلفة بتعدد طرق الإستفادة منها. وعلى الخطيب مراعاة البيئة والمستوى الثقافي والتعليمي لدى الغالبية العظمى لروّاد مجالسه.

ثم يأتي دور أحاديث النبيﷺ وأهل البيت ولعل أفضل كتاب هو كتاب «ميزان الحكمة» وهو كتاب رائع جداً ومبوّب حسب الموضوعات كما سبق بيانه.

إذ فيه الأحاديث والروايات التي يحتاجها الخطيب ويُركّز على كل فقرة تُستفاد من الآية الكريمة وكل هذا إلى الآن ليس كافياً، وإنما يحتاج الخطيب إلى شواهد وقصص وأبيات شعر، ويحتاج إلى فكرة معينة، لطيفة معينة، حكمة معينة، وهذه تُأخذ من كتب تُعنى بالشواهد الأدبية والتأريخية «قصص وأشعار». وهي غير محددة بمصدر، وليس لها كتاب خاص إذ يمكن الاستفادة من كل شيء نافع ومفيد، حيث يمكن أن يستفيد الخطيب من برنامج إذاعة أو يستفيد من برنامج تلفزيون أو يستفيد من جريدة، من مجلّة، من بيت شعر مكتوب في الشارع فيسجله، حكمة يسمعها يسجلها. لكن هناك كتب تعتبر منجماً لهذه الشواهد إذ تكون حاوية للعديد من هذه الأمور ومن

هذه الكتب «كتاب المستطرف في كل فن مستظرف»، المبوّب حسب الموضوعات في طبعته الجديدة.

ويمكن الاستفادة من كتب الكشاكيل مثل كشكول البهائي أو كشكول البحراني وبقية المصنفات التي صنعت بإسلوب كتاب الكشول. ويمكن أن نستفيد منها كمصادر للشواهد.

كما نذكر كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربّه الأندلسي، وكتاب «محاضرات الأدباء» للراغب الاصفهاني والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها. وكما نعلم فإن على عاتق الخطيب الحسيني تقع مهمة إفهام المستمع للأفكار والمفاهيم المطروحة، لذلك نجد الخطيب في همٍّ دائم ونشاط مستمر. إن الخطابة مهمة شاقة ومتعبة ويجب أن يكون لدى الخطيب الناجح دفتر خاص يحتوي على عدة حقول يرتب فيها الشواهد التي اقتنصها واستخرجها من مختلف المصادر والمراجع ولكي تسهل مراجعته لهذه الشواهد فإن من الأفضل له أن يجعلها ضمن حقول وأقسام فالحقل الأول مثلاً يكتب فيه كل ما يتعلق بالقرآن الكريم وشؤونه، والحقل الثاني يخصص للسيرة، والثالث للأخلاق، والرابع للحِكَم، والحقل الخامس للمواعظ، وهكذا. إن هذا الكتاب يسمى «المجموعة» وهو على شكل كشكول مبوّب. ولدى كل خطيب من خطباء المنبر الحسيني، وربما غيرهم كذلك، مجموعة أو عدة مجموعات خاصة به يدّخر فيها نفائس ما يحصل عليه من شواهد أدبية وتاريخية وغيرها.

وعندما يريد الخطيب أن يعالج موضوعاً ما، فإنه يرجع فيه إلى

دفتره الخاص، هذا الدفتر الذي يعرفه الخطباء بـ «المجموعة» ولهذا لا يمكن أن يعتمد الخطيب على كتاب واحد في الشواهد.

وبالعودة إلى المصادر فإن من مصادر الشواهد: «كتاب الغدير» وهو أحد عشر مجلداً «للعلامة الأميني» يحتوي على أحاديث النبيﷺ في الغدير وكل ما قيل في الغدير شعراً وترجمة الشاعر وفيه مواضيع يستفيد منها الخطيب في مجالات مختلفة، تراجم، عقائد، أدب، تاريخ وغيرها.

كما لا يستغني الخطيب عنه كتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ويحتوي الكتاب مجموعات من نقاط أدبية وتاريخية رائعة.

ومنها كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري وهو من الكتب الرائعة، فيه قصص وشعر وبشكل رائع وغريب، وهو مخزن للأشعار والقصص والطرائف فهو يأخذ حيواناً ما: مثل الخفاش، ثم يأتي بحديث يذكر منه الخفّاش كأن يقول أنه من طيور الليل فيذكر أنواع طيور الليل وما قيل فيها من قصص وشعر وأدب، وعن قصص وشعر حول الخفّاش يذكرها ويذكر كذلك تأويل ما معنى رؤية الخفاش في النوم. وسمعت الدكتور الشيخ الوائلي يقول:أنه قد قرأ كتاب حياة الحيوان الكبرى خمس مرات وهو متلهف أن يقرأه أكثر من ذلك.

ونذكّر أن أكثر ما يستفيد منه الخطيب كتب التفسير، والتفسير هو المتكفل بصياغة هيكلية المحاضرة ثم تأتي مرحلة استخراج الأحاديث المناسبة للآية. وما فسرت به، ويأتي بعد ذلك دور البحث عن الشواهد من قصص وأشعار التي يمكن أن توضّح كل فكرة وكل نقطة.

وتعريجاً على موضوع الإنفاق الذي ذكر كمثل في درس سابق حينما نأخذ الآية الكريمة التي تقول «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون»، وفيها أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى المستوى الرائع إلا إذا أنفق مما أحب، هي فكرة جيدة يجب البحث عن قصة أو حادثة معينة وقعت مع إنسان مؤمنٍ لكي تكون توضيحاً للموضوع ودعماً له، حتى يتفاعل الجمهور مع الفكرة. لهذا يستطيع الخطيب أن يأخذ نظرة عامة عن كيفية كتابة البحث كيفية كتابة المحاضرة كيفية تهيئة أدوات كل شيء موجود وعليه بعد ذلك البناء.

من الحكمة أن يعرف الخطيب كيف يرتب وينسّق معلوماته وشواهده حتى يكون هناك إنتاج جميل ويكون هناك منزل رائع وبناء يبهر الأنظار، ويستفيد الناس منه. هذه الخطوة أساسية في مسألة كتابة موضوع البحث والمحاضرة. إن التفاسير موجودة، والأحاديث متوفرة. والشواهد والقصص متناثرة في مصادرها، والأفكار مبثوثة في الكتب، وأجهزة الإعلام، والخطيب الحسيني الناجح هو من يسعى بجهد في جمع هذه المعلومات، ثم صياغتها وطرحها بأفضل أسلوب وأروعه.

إن مشكلة بعض الخطباء، أنهم لا يستطيعون أن يميزوا ما بين ما هو نافع للناس وما هو غير نافع، فليس كل ما يُقرأ في الكتب يتكلم به على المنبر؛ هذا خطأ كبير قد يقع فيه بعض الخطباء لا سيما المبتدئين منهم، لأن عالم الكتب شيء وعالم المنبر والخطابة شيء آخر ولعل من أبرز الأمثلة في هذه المسألة، ما يذكر من أمور تتعلق بسيرة الإمام

الحسين عليه السلام ، وأبرز رموز واقعة الطف، وما جاء فيها من أخبار وآثار وروايات وتفسيرات- ولهذا فقد يقرأ الخطيب رواية قد تكون غير محققّة أو مما يثير استغراباً أو ممّا يحتاج للتفسير والتوضيح، فإذا ذكرها على المنبر ببراءة واسترسال وإذا بالانتقادات توجّه إليه، وقد يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك. ولهذا على الخطيب مهمات لا يُبتلى بها غيره.

إن مهمة الخطيب الحسيني مهمة كبيرة عليه أن يستعين بالله عز وجل وبركات الإمام الحسين عليه السلام لنجاح مهمته وأداء مسؤوليته.

هذه معلومات عامة عن كيفية كتابة محاضرة في منبر الإمام الحسين عليه السلام ومن المهم جداً في توظيف الشواهد المطلوبة أن يعد كل خطيب دفترا«مجموعة» ويفضل الدفتر الذي تقطع أطرافه لوضع عناوين تثبت فيها الشواهد الأدبية والتاريخية ويمكن أن يقسم هذا الدفتر أو المجموعة كما سبق أن بينّا إلى عدة أبواب:

١ - القرآن: حيث يذكر فيه كل ما يتعلق بالقرآن من أقوال وقصص وأشعار وأبحاث وإحصاءات. فإذا كانت عندك محاضرة حول القرآن الكريم مثل الإعجاز أو تلاوة القرآن أو التدبر فيه أو أي علم من علوم القرآن، لجئت إلى هذا الباب فأخذت الشاهد المناسب.

٢ - السيرة: ويذكر في هذا الباب كل ما يتعلق بالنبي«ص» وأهل بيته عليهم السلام من قصص وأحاديث منتقاة وأحداث ومواقف وأشعار. حيث تأخذ من هذا الباب ما يغني محاضرتك إذا كانت حول سيرته عليه السلام ، أو تأخذ من هذا الباب ما يقوي محاضرتك ويدعمها في موضوعات أخلاقية أو تربوية أو فكرية أخرى.

٣ - الأخلاق: حيث تثبت القيم الأخلاقية وقصصها وأشعارها وما قيل فيها من دروس وفوائد وإحصاءات وكل حالة لها علاقة بالأخلاق. وتلجأ إلى هذا الباب عند كتابة محاضرة في موضوع من موضوعات علم الأخلاق، فإذا أردت الكتابة عن حق الجار فرضاً، فإنك تبحث في هذا الباب عن أي قصة أو بيت شعر أو حديث أو فكرة عن الجوار فتكون بذلك محاضرتك نافعة وذات جاذبية من قبل الجمهور.

٤ - الحِكَمْ: حيث تذكر الكلمات ذات البعد الحكمي والقصص والأحاديث وأشعار الحكمة والكلمات ذات الدقة العلمية، وهي مما تُرصِّع به محاضراتك وتعمّقها في النفوس، حينما تذكر حكمة مناسبة جداً مع نوعية محاضرتك.

٥ - المواعظ: حيث تسجل في هذا الباب كل ما يتعلق بالآخرة والموت والقبر والزهد من أشعار وقصص ..وتستفيد من هذا الباب كثيراً في كتابة المحاضرات الوعظية ومجالس تأبين الموتى، فيما يُعرف بمجالس الفاتحة أو الأسابيع والأربعين وحسب العادة المتبعة. وعلى ذكر مجالس تأبين الموتى، فإنها تحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لخطيب المنبر الحسيني إذ توفر له هذه المجالس فرصاً مميزة للوعظ والإرشاد ومع أناس قد لا يعرفون مسجداً ولا التزاماً ولا ديناً من الذين قد يكونون من أقرباء وأصدقاء المتوفى.

إن تسجيل الأشعار القوية المؤثرة والقصص المنتقاة، والأحاديث الدقيقة المناسبة، ثم طرحها بعد ذلك وبشكل علمي ودقيق في المحاضرة، لمّا يجعل للمحاضرة أثراً بالغاً في المستمعين. وقد يهتدي

بفضل محاضرتك أناس من غير الملتزمين فيا لها من منزلة عند الله وكرامة عند لقائه تعالى.

٦ - اللطائف: من أشعار ونكات خفيفة وقصص ونوادر، قد يحتاجها الخطيب ليطعّم بها محاضراته. إذ أن القلوب تملّ كما تملّ الأجسام، كما ورد في الحديث، ولهذا يختار لها لطائف الحكمة من غير فحش، وأبرز ما يستفاد من هذه النكات في مجالس شهر رمضان وبقية الأشهر، في حين يجب تجنب ذلك في مجالس عاشوراء وبشكل مطلق.

ويستفيد الخطيب من هذا الكشكول «المجموعة»، في ترصيع محاضرته بالشواهد المطلوبة، من أجل طرح موضوع متكامل، يترك أثره في المستمعين، فيؤدي إلى ربطهم بإسلامهم ومفاهيمه وقيمه.

كما يمكن أن تضاف أبواب أخرى - حسب اختيار الخطيب - مثل الإحصائيات الجديدة، وأخبار وشواهد عن المجتمع والحضارة الغربية، وغير ذلك. أكتب في مجموعتك ودفترك الخاص كل ما تتوقع أن تستفيد منه ذات يوم. أكتب ووثّق كل معلومة تصل إليكَ، إذ قد تأتي الفرصة التي تستفيد منها من معلومة قد كنت تتصور ذات يوم أنها ليست بذات فائدة.

وربما تزداد المعلومات عند الخطباء فيحتاجون إلى أكثر من دفتر ودفتر، ومجموعة ومجموعة وبعد كل هذه الدروس النظرية، لا بد أن ننزل إلى المكتبة، كي نجرّب عملياً تطبيق ما درسنا في صياغة بعض المجالس.

الدرس الحادي عشر

كيف يرتب الخطيب المجالس في عاشوراء؟(١)

ما ذكرناه في مسألة كتابة موضوع محاضرة المنبر الحسيني كان يتعلق بالموضوعات العامة طوال السنة، أما مجالس عاشوراء فإن لها خصوصية، ولموضوعاتها خصوصية في المنبر الحسيني، فلا بد لخطيب المنبر الحسيني المبتدئ أن يهيئ نفسه لمجالس الأيام العشر الأول من شهر المحرم. ولعلها تكون تجربته الأولى في هذا العالم.

يجب أن تقسم الأيام العشرة الأولى بهذا التقسيم الذي جرت عليه تقاليد المجالس الحسينية..

- الليلة الأولى من المحرم:

تكون الموضوعات فيها حول أهمية المآتم أو المجالس الحسينية.

حيث يذكر مثلاً جهود الأئمة عليهم السلام وكيف خططوا وكيف سعوا وكيف حثوا شيعتهم على إقامة المآتم وفوائد هذه المآتم والمسؤولية في ذكرى الإمام الحسين عليه السلام وكيف يمكن أن تحيى هذه المجالس؟

فالليلة الأولى عادة تكون موضوعاتها في أهمية مجالس العزاء وكيف تأسست وانتشرت، ويمكن الاستفادة في هذا المجال من عدة مؤلفات لعل من أبرزها كتاب «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي»

للشيخ محمد مهدي شمس الدين وهو كتاب نافع جداً.

- الليلة الثانية من المُحرَم:

في خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة، إذ لا بد أن تكون المصيبة في نهاية المجلس في كيفية خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة. وما رافق ذلك من أحزان وآلام.

يمكن أن يذكر الخطيب في هذه الليلة موضوع الهجرة حيث يبحث موضوع هجرة النبي صلى الله عليه وآله ولماذا هاجر؟ وما تعرض له المسلمون الأوائل من التعذيب؟ هجرة المسلمين إلى الحبشة هجرة المسلمين إلى المدينة .. ثم نصل إلى خروج الإمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّه المصطفى وينهي مجلسه بالمقارنة بين الهجرتين أو ما يناسب ذلك...

كما يمكن أن يذكر في هذه الليلة، كيف وصل خبر موت معاوية إلى المدينة وماذا عمل والي المدينة الوليد بن عتبة ابن أبي معيط، وكيف استدعى الإمام الحسين عليه السلام وطلب منه البيعة، ورفضه لها، وقال كلمته المشهورة: «أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق فاجر معلن بالفسق وشارب الخمر وقاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله» ويختم هذا المجلس بذكر وقوف الإمام الحسين عليه السلام على قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله، أو على قبر أخيه الحسن أو على قبر أمه الزهراء عليها السلام أيضاً ويوجد نعي ومصيبة بكل هذه الموارد في كتب الشعر من قريضٍ وشعبي، وهذا شيء يعود اختياره إلى الخطيب وهو يختار ما يراه مناسباً لمجلسه.

أو يمكن أن يذكر في مصيبة هذه الليلة خروج الإمام الحسين عليه السلام وبقاء طفلته العليلة «فاطمة العليلة» إذن في هذه الليلة الثانية ينصبّ الموضوع على خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة وأيضاً المصيبة تكون مناسبة لحادثة خروج الحسين من المدينة. وبالمناسبة، فإن على الخطيب الحسيني أن يولي مسألة تحليل واقعة كربلاء، والأبحاث المتنوعة عن أسبابها ونتائجها وعوامل خلودها وظروفها، وبما اهتمت به الدراسات والأبحاث التي تناولت ثورة الحسين عليه السلام ونهضته، وينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن يولي مسألة حفظ النصوص أهمية كبرى وخاصة نصوص خطب ومقالات الإمام الحسين عليه السلام، وأبرز شخصيات واقعة كربلاء وهذه المسألة مما يميّز خطيب المنبر الحسيني عن أي متحدث أو محاضر آخر، الذي قد يكتفي بذكر المعنى بينما لا يغتفر لخطيب المنبر الحسيني أن يذكر المعنى، دون أن يحفظ النّص بالدقة، وكلما حفظ نصوصاً أكثر ارتفاع شأن خطابته أكثر.

الليلة الثالثة من المحرم:

وموضوعها ينتهي بخروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة والأحداث التي جرت في مكة. ماذا صنع الإمام الحسين عليه السلام في مكة؟

وآخر المحاضرة يتم الحديث عن كيفية خروج الإمام الحسين من مكة، وبكاء أخيه محمد بن الحنفية، أو بكاء عبد الله ابن العباس، وما قال الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة «شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهن سبايا» أو خطاب الإمام الحسين عليه السلام حينما خرج من مكة «خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد

الفتاة وما أولهني إلى أسلا في اشتياق يعقوب إلى يوسف كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين كربلاء ونينوى بين النواويس وكربلاء» ونؤكد مرة أخرى أن من الضروري، أن يتميز قارئ العزاء عن بقية المحاضرين بحفظ نصوص السيرة وبشكل مميز جداً.

وإنه من غير المحبَّذ عندما يعتلي الخطيب المنبر، ويقول فيما معناه أن الحسين قال كذا وخرج من مكة وقال سوف أقتل وأن أولادي كذلك يقتلون معي، بل يجب على الخطيب أن يحفظ النص، إن حفظ النص يكسب المجلس قوة، ويجعل كلام الخطيب مؤثراً في الناس تأثيراً واضحاً جداً. يجب على الخطيب قبل غيره أن يتعامل باهتمام كبير مع مسألة حفظ النصوص.

ويمكن أن يتطرق الخطيب في هذه الليلة إلى موضوع لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام ومعه نساؤه لماذا لم يبق الإمام الحسين في مكة أو في المدينة؟

أو ماذا صنع الإمام الحسين في مكة؟

هناك مجالات كثيرة لطرح مثل هذه الأبحاث والدراسات، لكن المصيبة يجب أن تكون في خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة.

حيث يمكن أن يقال: اضطر أن يخرج الإمام الحسين من مكة حفاظاً على حرمة البيت الحرام وقد قال: «سمعت من أبي أن رجلاً يقتل في الكعبة تُستحل به حرمتها ولا أريد أن أكون ذلك الرجل» وكانت مكافأة الحسين إرادة الله وهي تقرر: لأجعلن من قبرك كعبة لقلوب المؤمنين، ثم يُعرّج الخطيب على كربلاء ومقارنته بين كربلاء

وبين مكة ضمن أبيات القصيدة المشهورة:

لأنْ قَصَدَ الحُجَّاجُ بيتاً بمكة

وطافوا ببيتٍ والذبيح جريحه

فإني بوادِ الطَّفْ أصبحتُ مُحرِماً

أطوف بقبر والحسين ذبيحه

وتسألني عن زَمْزَمَ هاك أدمعي

أو الحَجَرُ الملثُوم هذا ضريحه

وبعد ذلك يغوص الخطيب في المصيبة ويشبعها...

يجب أن نجهد أنفسنا في تعلم فن الخطابة الحسينية، يجب أن يكون لدى الخطيب الأسلوب الفني في الخطابة مثل حركة بيده وكيف يدير المجلس، كيف يحرك الجماهير كيف يجذبها كيف يستخرج العبرة والدمعة من عين المستمع. يحتاج إلى فن وتخصص، بحاجة إلى متابعة وقراءة مستمرة، وتراكم خبرات ومتابعة ميدانية لشيوخ الخطباء، وأساتذة المنبر!

- الليلة الرابعة من المحرّم:

ولا بد أن تختم بوصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، ويمكن أن يتكلم الخطيب عن المراحل التي مر بها الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى كربلاء حوالي سبعة عشر مرحلة، ويتوقف عند المراحل المهمة التي مرّ بها ركب الحسين عليه السلام وفي هذه المجالات تنفعنا كتب المقتل المختلفة.

مثل مقتل السيد المقرم ومقتل السيد بحر العلوم، وهذان المقتلان

هما في غاية الأهمية لكل خطيب، وقد بيّنت فيهما المراحل التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج من مكة حتى وصوله كربلاء.

فأول مكان الصفاح وثاني مكان التنعيم، وهكذا بقية المراحل والمنازل حتى كربلاء، مع ذكر المناطق وماذا حدث فيها.

إذن علينا أن نهتم بكتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم.

ومقتل الإمام الحسين عليه السلام «للسيد محمد تقي بحر العلوم»

ويمكن للخطيب أن يستخرج من هذين الكتابين عدة موضوعات، إذن لا بد أن يقتنيهما الخطيب، وكما قلنا فإن فيهما بحوث كثيرة وأفكار مهمة ونافعة، لكل خطيب حسيني.

بعض الخطباء يقول: أن في الليالي الأربع الأوائل لك حرية أكثر في اختيار الموضوع أو اختيار المصيبة، لكنني وجدت أن المآتم الكبرى في مناطق الخليج وغيرها، تهتم بهذا الترتيب الذي ذكرناه وبشكل مهم جداً، فإذا التزم الخطيب بهذه الدقة في الليالي الأربع الأولى من المحرَّم فإنه يكون مميزاً، في بعض المناطق يتوارثون المجالس والأعراف أباً عن جد، ولهذا لا ينجح فيها إلا الخطيب الذي استطاعت التجارب أن تصنع منه خطيباً مميزاً في طرحه وأدائه وحفظه ومواضيعه. هذه الليالي الأربع الأولى، فيها مجال أن يغير الخطيب شيئاً ما، لكن بعد هذه الليالي سوف تكون محددة جداً لا يوجد مجال للمناورة. إذ من الليلة الخامسة سوف تُحدَّد الليالي بشخصيات وشهداء كربلاء بشكل محدّد ودقيق، وهذا ما سنأخذه في درسنا القادم إن شاء الله.

الدرس الثاني عشر

كيف يرتب الخطيب المجالس في عاشوراء؟(2)

الليلة الخامسة:

كما ذكرنا في درسنا الماضي فإنه وابتداءً من الليلة الخامسة سوف يتم تخصيص الليالي برموز من شهداء كربلاء، فالليلة الخامسة من محرم مخصصة للشهيد مسلم ابن عقيل عليه السلام فليس من المناسب أبداً لخطيب في ليلة لمسلم ابن عقيل أن يتحدث عن العباس عليه السلام أو شخصية أخرى.

في حياة مسلم ابن عقيل يوجد مجالات كثيرة لكي يتكلم عنها الخطيب، يمكن أن يتكلم الخطيب في هذه الليلة عن تأريخ الكوفة، والتشيع بالكوفة، والمراحل التي مر بها التشيع بالكوفة وما قاست الكوفة من ظلم الطغاة والولاة الظلمة. يمكن أن يتكلم في مراسلة الكوفيين مع الإمام الحسين عليه السلام وتأريخها منذ أيام أخيه الحسن عليه السلام وبعده، وقبل معاوية وبعده، وعن تحرك أهل الكوفة إلى أن وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة، تاركاً المدينة رافضاً بيعة يزيد، واجتماع الشيعة في بيت سليمان بن صُرد الخزاعي، والكتاب الأول للحسين عليه السلام، وكيف أن الإمام الحسين عليه السلام بعد ذلك أرسل مسلم ابن عقيل، والخطوات التي قام بها مسلم ابن عقيل في الكوفة،

ومجريات الأحداث، في الكوفة .... وهناك كلام كثير في هذا المجال، وهناك كتب خاصة حول مسلم لا بد من قراءتها ودراستها والاستفادة من الأفكار الواردة فيها ضمن المحاضرة.

ومن هذه الليلة تبدأ القصائد الخاصة كذلك، يجب أن تكون قصيدة لمسلم ابن عقيل مع نعي أيضاً خاص لمسلم ابن عقيل، والخطيب هو الذي يختار كيف ينعى كيف يجعل الشعر وأين يتكلم به وأين يقوله.

- الليلة السادسة من المحرم:

وهي ليلة مخصصة في أنصار الإمام الحسين عليه السلام ومواقف الأنصار حيث تطرح موضوعات في مواقفهم، جهادهم تراجمهم بصريين وكوفيين، شباب وشيوخ، من أهل الكوفة ومن خارجها، هناك عدة مجالات حول الأنصار هناك عدة كتب حول الأنصار مثلاً منها:

وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام «للزنجاني».

إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام «للسماوي».

أنصار الحسين الرجال والدلالات «شمس الدين».

إن هناك توصية لكل خطيب يريد لمنبره الفائدة والنجاح، إن على هذا الخطيب أن يحاول اقتناء وشراء كل كتاب أُلِّف في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بحيث تكون مكتبة خطيب المنبر الحسيني حاوية لكل ما أُلِّف بالحسين عليه السلام من دراسات وأبحاث ومصنّفات، حسب الإمكان.

ولو أن الخطيب يأخذ من كل كتاب فكرة واحدة، فإنها ستفتح

أمامه عدة أبوابٌ فمثلاً نجد أن الشهيد مطهري رحمه الله يقارن في بعض كتبه بين الموقف الذي يقول فيه الإمام الحسين عليه السلام لأنصاره ليلة عاشوراء أن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، يقارن بين الموقف الذي يقول الإمام الحسين عليه السلام فيه لأنصاره أنتم في حل، يقارنه مع موقف طارق ابن زياد عندما عبر المضيق إلى الأندلس، وحرق كل السفن، ولم تبقَ عنده سفينة، وقال المقالة المشهورة العدو من أمامكم والبحر من ورائكم، وإذا لم تقاتلوا العدو تغرقون، فلو أخذ خطيب المنبر هذه المقارنة وضمنها إحدى محاضراته، لكانت شيئاً جيداً وجاذباً لجمهور المنبر الحسيني. وعندما يأخذ الخطيب فقط هذه الفكرة، ويطرحها في المجلس، وإذ بالمستمع ينشدُّ إلى خطيب المنبر الحسيني. أن من الحقائق المهمة أن خطيب المنبر الحسيني لا يشترط أن يكون مفكّراً، بل يجب أن يكون قارئاً جيداً ومتبعاً مميزاً، يعرف كيف يلتقط الفكرة أو الشاهد، ويوظّف هذه اللقطة في المحاضرة أو المجلس، مثل موضوع مقارنة أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله بأنصار الإمام الحسين عليه السلام أو موضوع دراسة أنصار الإمام الحسين عليه السلام ودراسة الظروف التي أحاطت بالناس في تلك الأيام، أو بحث في موضوع لماذا تخاذل الناس عن نصرة الحسين عليه السلام. أو البحث في موضوع لماذا كان الأنصار قليلون في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهي مواضيع كثيرة والمجال فيها للبحث والدراسة واسع. أو إذا أخذ الخطيب موضوع دراسة وترجمة الأنصار موقفاً موقفاً.

إن من أوصاف خطيب المنبر الحسيني عليه السلام، أن يكون نشيطاً ذا

حرارة وروح اقتحام وتجديد، وحسن تعامل مع كل ما يكتب ويبحث ويناقش في ثورة الحسين عليه السلام وأبعادها.

وبعد طرح الموضوع يأتي دور المصيبة في ليلة السادس من المحرم؛ وهي ليلة الأنصار مثل استشهاد حبيب أو الحر أو أي رمز من أنصار الحسين، وفي بعض المناطق لابد أن نذكر مصيبة حبيب بن مظاهر بالخصوص، باعتباره هو شيخ الأنصار، كبير الأنصار ولكن الخطيب في الواقع غير ملزم بهذا.

- الليلة السابعة من المحرّم:

هي ليلة أبي الفضل العباس عليه السلام وفي مجلس العباس يمكن أن يتطرق الخطيب إلى عدة موضوعات بما يناسب شهيد هذه الليلة، فقد تكون تربوية أو أخلاقية، أو يختار موضوعاً يتعلق بالسيرة في هذا المجال وقد يأخذ الخطيب مقطعاً من زيارة العباس عليه السلام: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة» هذه أربع صفات تسليم وتصديق ووفاء ونصيحة، يأخذ الخطيب من كل واحدة شاهداً من أخبار العباس ومواقف العباس عليه السلام، رفض الأمان الذي عرض عليه يوم التاسع ويوم العاشر، وعندما قطعت يده قال عليه السلام:

والله لو قطعتموا يميني

إني أحامي أبداً عن ديني

يجب الأخذ من سيرة العباس ومواقفه هذه اللقطات، وتوظف في شرح فقرات هذه الزيارة، فيكون الموضوع حينئذ ناجحاً، هناك أبحاث عدة يمكن أن تستفاد من مواقف العباس وسيرته، نعم يجب

أن يؤدي الخطيب في هذه العشرة أيام، أفضل ما يمكن أن يعطيه، وهي مسؤولية أخلاقية وشرعية. كما أنها من ناحية أخرى، تجعل له موقعاً في دنيا الخطابة تمهّد له خدمة أوسع وتأثيراً أبلغ.

في ليلة العباس عليه السلام، يمكن أن يتحدث الخطيب عن موضوع الأخوة في الإسلام، إصلاح ذات البين في الإسلام، إدخال السرور على قلب المسلم، الخصومة، حق المؤمن على أخيه المؤمن، هناك مجالات كثيرة، وهناك أشعار كثيرة في العباس، ومن بعدها يأتي دور المصيبة.

الليلة الثامنة من محرم:

حيث يبحث فيها عن القاسم بن الحسن عليه السلام

في بعض المجالس يُقرأ في الثامن لعلي الأكبر والتاسع للقاسم عليه السلام ومن المعلوم أن الجميع استشهدوا يوم العاشر، وهذه الليالي قسمت حتى نزيد من إحياء ذكراهم، ولكي تكون المجالس الحسينية في لبنان منسجمة مع بقية المجالس في العالم الشيعي العربي، فالأولى أن يتم في هذه الليالي الحديث عن القاسم بن الحسن عليه السلام. وفي هذه الليلة والتي بعدها مجالات واسعة لطرح موضوعات تربوية لأن القاسم استشهد وهو لم يبلغ الحلم، فيُطرح موضوع الشباب وهناك مواضيع اجتماعية مختلفة أخرى، كما ويمكن أن يكون الموضوع هذه الليلة في السيرة، وهو موضوع الإمام الحسن وعلاقته بثورة الإمام الحسين عليه السلام، ربط الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية شرح أسباب الصلح، وأن من ضمن بنود الصلح أن

يأتي إلى الحكم بعد معاوية الإمام الحسن عليه السلام وإذا لم يكن موجوداً يأتي الإمام الحسين عليه السلام .

فإذاً الإمام الحسن عليه السلام أعطى للإمام الحسين عليه السلام بنداً قانونياً، بتوقيع معاوية وكأن الإمام الحسن عليه السلام أسس ومهد لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام ، والإمام الحسن عليه السلام لم يكتفِ بالتأسيس وإنما كانت له مشاركة يوم عاشوراء استشهد له أولاده، منهم أخ القاسم من أمه وأبيه، محمد ابن الحسن عليه السلام وعبد الله ابن الحسن عليه السلام قتل ثمانية عشر رجلاً ثم قطعت يده ولكنه لم يستشهد كان عنده أخوال له من بني فزارة واستنقذوه و أخذوا له أماناً وبقي على قيد الحياة، وطفل الحسن عبد الله الأصغر قتل في حجر عمّه الإمام الحسين عليه السلام عندما سقط الإمام الحسين عليه السلام على الأرض جاء عبد الله الأصغر وألقى بنفسه على عمه فذبحه حرملة وهو في حجر عمه الإمام الحسين عليه السلام ، والرابع القاسم ابن الحسن عليه السلام . يتطرق الخطيب إلى سيرة الإمام الحسن عليه السلام ومن بعدها يركز الموضوع على القاسم عليه السلام هناك سيرة وتحليل وكذلك يوجد قصائد خاصة ونعي خاص بالقاسم ابن الحسن عليه السلام .

الليلة التاسعة من المحرّم:

هي ليلة علي الأكبر عليه السلام ، ويمكن لنا أن نقول أن نفس الموضوعات التي يمكن طرقها في ليلة القاسم يمكن طرقها في ليلة علي الأكبر كذلك، حيث يمكن طرح موضوع حقوق الأبوين، حقوق الأب والإبن، أو طرح موضوع الشباب، أو موضوع التربية أو موضوع الأسرة كل هذه

المواضيع مفيدة، في القاسم يمكن بحث موضوع اليتيم، يمكن البحث حول دور الأم حيث توفي أبوه وبقي في حضن أمه وهي التي رعته وربّته، وهناك مصيبة وشعر خاص لعلي الأكبر وهو متعدد وواسع بالفصحى والشعر الشعبي يغني الخطيب كثيراً. وبالمناسبة هناك مؤلفات وإن كانت قليلة حول الأكبر عليه السلام وكذلك حول العباس عليه السلام يمكن مراجعة كتب السيد عبد الرزاق المُقرّم وغيره في هذا المجال.

- الليلة العاشرة من المُحرّم:

يمكن أن تنتهي المحاضرة في هذه الليلة بعدة نهايات، وعادة فإن المصيبة التي تقرأ في هذه الليلة هي مصيبة الطفل الرضيع، أو مصيبة وداع الإمام الحسين عليه السلام لعياله يوم عاشوراء آخر وداع لما رجع إلى المخيم، ويمكن للخطيب أن يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام يودع أخواته يودع أطفاله هذا وداع، ووداع آخر يوم قتل أصحابه وأنصاره ولم يبق عنده أحد، فوقف ينادي: من يقدم لي الجواد وأنا ابن أمير المؤمنين... والشعر المناسب مثل:

من ذا يقدم لي الجواد ولامتي

والصحب صرعى والنصر قليل

فأتتهُ زينب بالجواد تقوده

والدمع من ذكر الفراق يسيل

ليلة العاشر لها أحداث خاصة سبقتها، وهي التي مرت على الحسين عليه السلام منذ نزوله في كربلاء إلى حين أتى يوم العاشر، بعض الناس لا يعرفون متى وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء. فضلاً

عن الأحداث التي تلت ذلك.

أو يتكلم الخطيب حول التطورات في هذه الليلة والأحداث التي مرت بها، تقدّم القوم عصر تاسوعاء، والإمام الحسين عليه السلام كان يناجي ربه بقراءة القرآن والدعاء والاستغفار، يمكن أن يطرح الموضوع حول العبادة، حول القرآن، حول الوصية، هناك مواضيع مختلفة للبحث هذه الليلة، وتكون المصيبة حول الرضيع أو وداع الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته أو بقية النسوة تلك تودّع أخاها وأخرى تودّع ولدها، وهكذا، كما ذكرنا، يجب أن يستمع خطيب المنبر الحسيني إلى تسجيلات شيوخ الخطباء، الخطيب عندما يستمع لمجلس عزاء ليس كما يستمع غيره، حيث يتم تعلم واستفادة واكتساب خبرة، في حقول النعي والشعر الذي يتلى في البداية، لا بد أن يستفيد الخطيب من الآخرين، حتى إذا استطال الشيء قام بنفسه. وأكرر دائماً، استمع وتابع واكتسب خبرة، ودقّق في تجارب أساتذة المنبر الحسيني وشيوخه.

كما أن بعض المجالس تستمر إلى يوم الثالث عشر.

- ليلة الحادي عشر من المحرّم:

عادة لا يطرح موضوع في هذه الليلة فهي ليلة حزن وبكاء، حيث يتوقف الخطيب عند الذي جرى على الأطفال بعد فقد الأحبة ماذا حدث بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام، كيف جاءوا لهم بالماء؟ ماذا جرى في ليلة الحادي عشر؟ بقاء الأطفال ومعهم السيدة زينب عليها السلام في الخيمة هناك قصائد خاصة في هذه الليلة وأحداثها ومصائبها.

- ليلة الثانية عشر من المحرّم:

يمكن طرح موضوع الأحداث التي جرت بعد العاشر، دور ثورة الحسين عليه السلام في تغير الناس، وأخلاق الناس أو نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام. أما القصائد التي تقرأ في هذه الليلة فهي مما يناسب هذه الليلة إذ يبدأ بعد هذه الليلة وإلى آخر شهر صَفَرْ بقراءة القصائد التي فيها ذكر السبايا والأطفال بعد استشهاد الأهل والأحبة.

- ليلة الثالث عشر من المُحرَّم:

ليلة دفن الإمام الحسين عليه السلام هناك قصائد تشير إلى الدفن من قصائد القريض والنعي، ويمكن التكلم في هذه الليلة عن مواضيع مختلفة كثيرة منها: نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام أسباب خلود ثورة الإمام الحسين عليه السلام حالة الندم التي طرأت على الأمة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

ماذا غيرت ثورة الإمام الحسين من أخلاقيات الناس؟

استيقاظ الضمائر بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

يمكن أن يتكلم الخطيب كثيراً في هذه المجالات. وبعض الخطباء يختار موضوعات حول المختار وأخذه بالثأر أو ثورة التوابين. كما يمكن الحديث عن مجريات الأمور حين دخول السبايا إلى الكوفة.

هذه معلومات أولية، عن شبكة المجالس أو الخطبة العامة للمجالس في العشر الليالي الأولى من المحرّم.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثالث عشر

المصادر التي يعتمد عليها الخطيب الحسيني

لقد ذكرنا في دروسنا السابقة أن على الخطيب الحسيني أن يستفيد من كل الدراسات والأبحاث التي تناولت ثورة الحسين عليه السلام ونحاول ذكر بعض هذه الدراسات والأبحاث إذ أن هناك بعض الكتب التي يمكن الاستفادة منها هي:

١- معالم المدرستين «للسيد العسكري».

٢- ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي «الشيخ شمس الدين».

٣- ثورة الإمام الحسين عليه السلام ظروفها الاجتماعية - الشيخ شمس الدين.

٤- إقناع اللائم على إقامة المآتم - للسيد محسن الأمين.

٥- نفس المهموم - للشيخ عباس القمّي.

٦ - حياة الإمام الحسين «باقر شريف القرشي».

٧ - مع الحسين في نهضته «أسد حيدر»

٨ - نهضة الحسين عليه السلام «هبة الدين الشهرستاني».

٩ - الحسين وارث الأنبياء «محمد مهدي الآصفي»

١٠- الإمام الحسين عليه السلام «عبد الله العلايلي»

١١ - أبو الشهداء «عباس محمود العقاد»

١٢ - بطلة كربلاء «عائشة عبد الرحمان» هذه أهم الكتب التي تتناول واقعة كربلاء وأبعاد كربلاء. أما المقاتل فكثيرة، ويمكن أن يكتفي في المرحلة الأولى بكتابين هما:

- مقتل الحسين للسيد عبد الرازق المقرّم.

- مقتل الحسين للسيد محمد تقي بحر العلوم وهما موجودان في الأسواق وكما ذكرنا سابقاً، يعتبر الكتابان من أفضل المقاتل فائدة للخطيب الحسيني.

أما ما أُلّف على أساس مجالس حسينية فهو كثير، إلا أن أفضل ما كتب في هذا الباب:

١- المجالس السنية - للسيد محسن الأمين.

٢- المجالس الفاخرة - السيد عبد الحسين شرف الدين.

وهما كتابان لا تستغني عنهما مكتبة خطباء المنبر الحسيني.

لقد ذكرنا في ما مضى إرشادات عامة، حول الموضوعات التي تصاغ في أيام العشر الأولى من المحرّم على أساس الترتيب الذي شاع بين خطباء المنبر الحسيني، في تقسيم هذه الليالي العشر الأولى من المحرّم إلى عدة تقسيمات، بحيث أن كل ليلة تنتهي بنقطة من نقاط واقعة كربلاء سواء قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، أو بعد وصوله حتى الشهادة. لقد ذكرنا الليالي ولم نذكر يوم عاشوراء.

أما يوم العاشر فإنه لا يوجد غير المقتل، حيث يتلى مصرع الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرم. أما بالنسبة إلى قراءة المقتل

فإنها تختلف حسب الظروف، ففي مكان لا يوجد فيه غير الخطيب الذي يحيى هذه المناسبة، فعلى الخطيب هنا أن يقرأ المقتل كاملاً، وقد يستغرق من الوقت حوالي ساعتين تقريباً، فيبدأ أولاً «لمّا أصبح الإمام الحسين يوم عاشوراء، وصلى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيباً فيهم حمد الله وأثنى عليه» يبدأ بهذا المقطع وينهي باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومجيء الفاطميات إليه.

في حالات أخرى قد لا يتحمل المجلس إطالة ساعتين إذ لا بد أن ينتهي المجلس قبل صلاة الظهر باختصار المصيبة. وعلى الخطيب أن يراعي وقته وصوته إذا كان عنده أكثر من مجلس.

وعودة إلى الكتب التي ينبغي لخطيب المنبر الحسيني اقتناؤها ومطالعتها، واستكمالاً لهذا الموضوع، نذكر بعض المصنفات التي تناولت الشعر الرثائي في الحسين عليه السلام وهي كثيرة، وخاصة بالنسبة للشعر الشعبي، أما بالنسبة للشعر الفصيح فإنه يمكن للخطيب أن يكتفي بكتابين في هذا المجال:

١- الدر النضيد للسيد محسن الأمين.

٢- رياض المدح والرثاء - للشيخ حسن البحراني.

وأما بالنسبة لدواوين الشعر الشعبي فهي كثيرة جداً وقد يصعب إحصاؤها فمن أشهرها «النصاريات» للشيخ محمد نصار و«الروضة الدكسنية» للشيخ محمد حسن دكسن.

الشيخ محمد نصار ركّز فقط على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر بينما الشيخ محمد حسن دكسن أستمر إلى رجوع

السبايا إلى المدينة، في الشام وما جرى في الشام وفي الكوفة أيضاً فيها نعي بل أضاف إليها وفيات النبي والزهراء وبقية الأئمة عليهم السلام.

بعد ذلك ظهر شاعر آخر وهو السيد عبد الحسين الشرع وديوانه باسم «منهل الشرع» وهو بجزأين.

وهناك أرضية للشعر الفائزي «البحراني» الموجود في المنطقة الشرقية بالحجاز والبحرين والكويت إلى عمان. لما كان الخطباء يسافرون من العراق إلى الخليج رأوا أن هناك مطلباً جديداً حيث أن الناس تريد هذا النوع الخاص من الشعر والنعي، بالإضافة أنه شجي، وأشهر ما كتب فيه ابن فائز التي تنسب إليه هذه الأشعار وكتابه باسم «فوز الفائز» كما ويوجد كتاب اسمه «الفائزيات الكبرى»، وكتاب للملا عطيه الجمري بعنوان «الجمرات الودية» وهو جزئين، وقد أشرنا إلى هذه الكتب مسبقاً.

وأفضل موضع يمكن أن يستخدم فيه النعي الطور البحراني هو بعد القصيدة في مقدمة المجلس. وبالعودة إلى أساس دروسنا فإن على الخطيب أن يسعى لتهيئة محاضرات ومواضيع في العشر الأولى من محرم خاصة وبقية المناسبات عامة.

التحضير يحتاج إلى تعب وجهد، يجب أن يحضر المجالس قبل عاشوراء أو بقية المناسبات مثل شهر رمضان بفترة معتد بها وقد يُحرِّم الخطيب من فرصة وهو بأمس الحاجة إليها، إذ قد يطلب منه فجأة مجلس ما فإذا كان قد هيأه مسبقاً فإنه سينقذه من الإحراج. والخطيب لا يعلم في أي مجلس يأتي فيه التوفيق له، ولهذا عليه أن

يحسن علاقته بالله تعالى ويتقن عمله في إعداد المجالس وتهيأتها.

ولا بد من الاستماع إلى الخطباء البارزين، ويمكن أن يأخذ مجموعات من محاضرات الخطباء البارزين ويقارن ويستفيد ويستنتج. نعم نحتاج إلى التذكير بذلك باستمرار.

إن الاستماع والمتابعة والتسجيل ومحاولة الترديد والتقليد والمتابعة مع جهاز التسجيل، حيث يتم تسجيل الملاحظات، والمقارنة بين الشيخ الوائلي مثلاً والشيخ المقدسي أو السيد الشوكي والشيخ الصيمري، وغيرهم من شيوخ الخطباء وكيف يتكلمون، ويمكن أن تأخذ من هذه المحاضرة تخميساً ومن تلك يستفيد مصيبة أو الاستفادة من فكرة معينة وهكذا ... حتى يصل الخطيب إلى مستوى الاستقلال بنفسه.

ومن الأمور التي تفجر مجالات الخطابة الحسينية هو أن على خطيب المنبر الحسيني أن يكون مبادراً للقراءة، فإذا طلب منه مجلس يجب أن يقرأ بما عنده، ويتجنب الاعتذار، من أجل أن يكتسب خبرة وجرأة، وإن الله سوف يفتح له أبواباً من العلم ولذلك يجب أن يبذل الخطيب ما عنده من طاقات، وقد تحتاج إلى حركة وتفاعل، نعم عليه أن لا يعتذر من أي مجلس، عليه دائماً أن يكون مقتحماً وحاضراً ومبادراً، وسوف يفتح الله تعالى عليه أبواباً لم يكن يفكر بها الخطيب، ولكن على الخطيب أولاً قبل المجلس أن يكون مهيئاً باستعداد ومداومة القراءة والمطالعة والتتبّع وينبغي التنبيه، أن مجالس شهر محرم تختلف عن مجالس شهر رمضان والمجالس في مناسبات الأئمة عليهم السلام تختلف عن بقية الأيام وفي العشرة الأولى من المحرم يكون التركيز

على السيرة أكثر من بقية المجالس وهكذا.

التركيز على السيرة هذا يدعوا إلى قراءة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بدقة وحفظ.

وعلى الخطيب أن يكون مبدعاً يجب عليه أن يأتي بشيء جديد، هناك الكثير من أبحاث السيرة الحسينية وفيها أمور غير مسموعة مجهولة جديرة بالبحث والطرح يجب على الخطيب أن يقرأ الكتب جيداً. ولابد أن يتنبّه على أهمية مجالس السبايا، التي تأتي بعد عاشوراء حتى نهاية صفر وضروة حفظ القصائد والنصوص والنعي المناسب لها.

يجب على الخطيب القراءة المستمرة نعم لا يطلب من خطيب المنبر الحسيني أن يكون مفكّراً كما قلنا، ولكن المطلوب أن يكون محاضراً هادفاً ونافعاً. وهذا لا يمنع من كونه مفكّراً ومبدعاً.

والمحاضر النافع يأخذ مما قاله العلماء المفكرون والمفسرون وأهل الرأي، ويمكن أن يقرأ كتاباً واحداً و لا يستفيد منه إلا معلومة واحدة. ولكن هذه المعلومة الواحدة وغيرها هي التي تجعل من منبره نافعاً وناجحاً.

وكما قلنا سابقاً: يجب عليه أن يكون في مكتبة الخطيب كل كتاب تناول مواضيع ثورة الحسين عليه السلام، على الخطيب أن يكون منتجاً وجدياً ولا يكون مجرد صدى عن الآخرين.

وبهذا الدرس نكون قد أنهينا الفقرة الثالثة والأهم من فقرات المنبر الحسيني وهي فقرة المحاضرة والموضوع، ولكي نكمل دروسنا لا بد أن نتوقف في دروسنا القادمة عند فقرتي «التخلّص» و«المصيبة» إن شاء الله.

الدرس الرابع عشر

فقرة التخلص

كنا في الدروس السابقة قد توقفنا عند شرح وإيضاح الفقرات الثلاث الأولى من فقرات المنبر الحسيني، وهي: المقدمة، القصيدة، المحاضرة«الموضوع».

وبقي علينا أن نواصل شرحنا ودراستنا للفقرات الثلاث الأخرى المتبقية، وهي التخلّص، المصيبة والدعاء.

٤ - فقرة التخلّص...

مرّ بنا، أن المنبر الحسيني كان في بدايته لا يتجاوز قصيدة رثاء يتلوها الشاعر عند أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام فتتفاعل معها النفوس والقلوب حرقة وألماً وبكاءً...

ثم أخذ المنبر الحسيني يخطو خطوات نوعية ويمرّ بمراحل متعدّدة، حتى وصل المنبر الحسيني حالياً إلى مستوى كبيرٍ من التخصّص، فصار فنّاً خاصاً من فنون الخطابة، لا يقوى على النهوض بمهماته إلاّ من توافرت فيه شرائط خاصة بعضها ثقافية وأخرى فنيّة، يتواصل كل هذا مع متابعة ميدانية لأعراق المنبر وأساليب أساتذته وتراكم خبرات الخطباء وإبداعاتهم.

إن من خصائص خطيب المنبر الحسيني الناجح في يومنا هذا، إن

يمتلك حسّاً فنياً، وأسلوباً إنسيابياً، وذوقاً أدبياً، يقوى بها على نقل روّاد مجالسه من المحاضرة والبحث اللذين كان بصددهما إلى أيواء عاشوراء، وساحة كربلاء... أي أن هناك جسراً يعبر عليه المستمع من عالم البحث والمحاضرة إلى عالم المصيبة والبكاء والحزن... إن هذا الجسر الذي يحتاج إلى الحس الفني والأسلوب الإنسيابي والذوق الأدبي هو الذي يُعرف بـ «التخلّص»... أو «النُقلة»...

إن من غير المستساغ أن يتجاوز خطيب المنبر الحسيني فقرة التخلّص هذه لينتقل من فقرة المحاضرة إلى فقرة المصيبة رأساً «من الفقرة ٣ إلى الفقرة ٥». بل لا بد عليه أن يمهّد لهذا الانتقال عبر فقرة التخلّص.

والتخلّص أسلوب أدبي كان معروفاً عند العرب، حيث يذكر الشاعر معنىً ليمهّد الانتقال إلى معنى آخر.

أما في المنبر الحسيني، فإن التخلّص يعني: إن الخطيب حينما يشعر أنه قد أكمل بحثه، وأن المحاضرة التي قد تناولها أدت مهمّتها وكادت أن تصل إلى نهايتها، فإنه يبدأ بالتفكير والتخطيط والبحث عن فكرة ما أو مسألة ما لها ارتباط بمحاضرته من جهة، ويمكن من خلالها - كذلك- التعريج على أحداث واقعة كربلاء... أي يقوم بعملية تمهيد لذهنية المستمع وتهيئة لنفسيته وإعداد لمشاعره حتى تتفاعل في نهاية المجلس مع الأجواء العاطفية والحزينة لأحزان الطف. أن يتخلّص من المحاضرة إلى المصيبة.

إن «التخلّص» الناجح منوط بتوافر عدة شرائط أهمها:

أ- الذوق الخطابي والذهنية المنبرية التي تمكّن خطيب المنبر الحسيني من أخذ «فقرة التخلّص» بالاعتبار منذ أن يشرع بصياغة محاضرته وكتابة بحثه.. أي أن الخطيب الناجح هو الذي يفكّر وهو في بداية مجلسه كيف سيختم مجلسه هذا!!.. لأنه يعلم أن نجاحه وتوفيقه كخطيب لا يعود فقط إلى قوة المحاضرة، إذ قد يشترك في هذا مع بقية المحاضرين، ولكنه يعلم أن الأمر يتعلّق وإلى حدّ كبير - كذلك- إلى رهافة أسلوبه، وانسيابية طريقته في نهاية المحاضرة لربطها بكربلاء.

فحينما يطرح الخطيب محاضرة حول الصديق والصداقة، فإنه يفكر منذ بداية محاضرته بأفضل ربط بين محاضرته وحدث من أحداث كربلاء.. حيث يخطط -مثلاً- لأن يُنهي المجلس باستشهاد مسلم بن عوسجه الأسدي ومجيء حبيب بن مظاهر الأسدي«رض» إلى مصرعه باعتباره كان صديقاً له ضمن تاريخ جهادي طويل...

فإذن عندنا بداية وهي محاضرة الصداقة، وعندنا نهاية وهي مصيبة استشهاد مسلم بن عوسجة ولكن كيف يربط بينهما؟ هنا يأخذ الخطيب بالتفكير والبحث عن فكرة ما تكون ضمن سياق المحاضرة فلا يشعر المستمع أنه قد دخل في موضوع جديد، بل قد لا يتصوّر أن هذه الفكرة ستنقله إلى كربلاء.. فيجد الخطيب الحديث الشريف: «لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث؛ في غيبته، ونكبته، وعند وفاته». ويكتشف أهلية مؤدى الحديث الشريف مع المهمة التي يسعى إليها.. فيجعل هذا الحديث في آخر محاضرته

لأنه يعتبر جسراً جيداً يربط به بين المحاضرة وكربلاء.. فيذكر الحديث مع شرح يتناسب والوقت حتى يصل إلى حضور الصديق في وفاة صديقه... ثم يقول: نعم كم يتألم الصديق حينما يسمع باحتضار صديقه خاصة من كان له معه تاريخ من الوفاء والصدق... فكيف بمن كان يسعى لمصرع أحد أصدقائه وإخوانه وفيه بقية من روح نعم كيف لنا أن نتصور شعور صديق سبقه صديقه إلى الشهادة يذهب إليه ليؤبنه ويبشره بالجنة، كما صنع حبيب بن مظاهر الأسدي حينما سار خلف الإمام الحسين عليه السلام إلى مصرع صديقه وابن عمه مسلم بن عوسجة الأسدي..

وهكذا رأينا كيف انتقل الخطيب من المحاضرة إلى المصيبة.

وهذا مجرد مثل لما ينبغي أن تكون عليه ذهنية خطيب المنبر الحسيني، حيث عليه أن يفكر حينما يشرع بكتابة محاضرته بكيفية إنهائها إلى كربلاء.

هذه هي الطريقة الأفضل، نعم يمكن للخطيب أن يبدأ محاضرته ثم يقف في نهايتها متأملاً وباحثاً عن «تخلّص» يعينه في مهمته، وهي مرحلة قد تأتي بعد طول خبرة ومزيد ممارسة.

ب - الاطلاع الواسع والدقيق على كل مفردات السيرة الحسينية.

لقد أكّدنا مراراً أثناء دروسنا السابقة، أن من الأمور الأساسية التي تميّز خطيب المنبر الحسيني عن بقية المحاضرين والخطباء، أنه يمتلك اطّلاعاً واسعاً واهتماماً بالغاً بواقعة كربلاء وأحداثها، بل ويزيد على ذلك تميّزه بحفظ النصوص من خطب ومحاورات وأشعار

ذكرتها كتب السير.

إن واقعة كربلاء واقعة شمولية إذا صحّ التعبير، حيث جمعت بين بدايتها ونهايتها أحداثاً متنوعة ومواقف مختلفة، وسلوكيات متباينة، وظروفاً متعددة... جعلت منها منجماً ثميناً ومجالاً غنياً لإمكانية أن يربط بين أي موضوع يُتحدث عنه أو فكرة تناقش أو مسألة تطرح، أن يُربط بين كل ذلك وحدث من أحداث كربلاء، إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.. ولهذا نجد أن خطباء المنبر الحسيني وهم يعالجون على منابرهم مختلف القضايا ويطرحون أنماط الأبحاث في جوانب الحياة المختلفة للإنسان والمجتمع ثم يربطون كل ذلك بكربلاء وعالمها.

إن من أهم ما يمكّن خطيب المنبر الحسيني من أن يكون ناجحاً في تهيئة التخلّص المناسب والمؤثّر في الوقت ذاته، أن يكون مطّلعاً وبشكلٍ دقيق وتفصيلي على كل ما يتعلق بحركة الإمام الحسين عليه السلام منذ أن رفض البيعة ليزيد بل وقبلها، إلى خروجه من المدينة إلى مكة وما جرى له في مكة، حتى خروجه منها إلى العراق، والمنازل التي مرّ بها وأحداثها وأشخاصها، ثم ظروف وصوله إلى كربلاء وكل المحاورات والتطورات حتى ليلة عاشوراء ثم الإهتمام الأكثر تفصيلاً بأحداث ليلة عاشوراء ثم متابعة دقيقة وتفصيلية لكل ما جرى في يوم عاشوراء من مواقف وأحداث وأشعار ونصوص حتى الشهادة، ثم ما جرى بعد ذلك وطول رحلة السبا من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام ثم العودة عبر كربلاء إلى المدينة.

الدرس الخامس عشر

مادة الخطيب في فقرة التخلّص

أكدنا في درسنا السابق على أهمية الاطلاع على السيرة الحسينية بحيث نستطيع أن نصوغ معادلة مفادها: كلما كان الخطيب مطّلعاً على تفاصيل أدق كان أقدر في اختيار أسلوب التخلّص المؤثّر والنافع.

وكمثال: فإن أحد أساتذة المنبر الحسيني وهو المرحوم الشيخ هادي النويني، كان قد طرح عنواناً لمحاضرته وهو الآية الكريمة ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه..﴾[1]. وكان رُبطهُ وتخلّصهُ موفقاً حينما أنهى محاضرته بمقطع من الحوار الذي جرى بين زهير بن القين«رض» والشمر يوم عاشوراء، حينما قال الشمر لزهير: إني أراك تعبد الله على حرف.. فأجابه زهير: إني والله أراك تعبد الله على سبعين حرفاً...

فلولا أن الخطيب كان متابعاً لهذه الجزئية في هذا الحوار لما اهتدى إلى هذا التخلّص.

وطرح الشيخ أحمد الوائلي في مجلس قام به المختار الثقفي في قضية أخذ ثأر شهداء كربلاء، والأجواء لا مجال فيها للبكاء لأنه فيها انتصار لأهل البيت عليهم السلام من قاتليهم وظالميهم.. ولكنه وجد في قصة

---

(١) سورة الحج، آية:١١

أخذ الثأر هذا مقطعاً سجّل حالة تأمل وحزن بدت على وجه المختار لما جيء إليه برأس عمر بن سعد ورأس ابنه حفص فقال: أهذا برأس الحسين وهذا برأس علي الأكبر: وهكذا وجد هذا الجسر الذي انتقل منه إلى كربلاء، وعاد من خلاله بالمجلس إلى أجواء الحزن.

وهكذا فإن الاطلاع الدقيق والتفصيلي على أحداث كربلاء، يمكّن الخطيب من اختيار التخلّص الناجح والمؤثر في عين الوقت.

إن هذا الاطلاع هو مادة الخطيب في فقرة التخلّص.

- الاطلاع على تجارب شيوخ المنبر الحسيني وإبداعاتهم في هذه الفقرة. لأن هناك أناس مميزون في كل حقل من حقول العلم والمعرفة والأدب وأنواع التخصّصات، فكذلك نجد في عالم المنبر الحسيني، خطباء مميزون. وبعض هؤلاء الخطباء برز تميّزهم وبشكل رائع في فقرة التخلّص... فقد يكون بعض الخطباء غير متميزين في محاضراتهم ولكنهم متميّزون في حسن نقل المستمع من أجواء المحاضرة إلى أجواء المصيبة.

والاطلاع إما مباشرة، من خلال حضور مجالس الخطباء المشهورين أو الاستماع إلى تسجيلات مجالسهم.. حيث على الخطيب المبتدئ أن يسائل نفسه كيف سينتهي هذا الخطيب من محاضرته وإلى أي جانب من جوانب كربلاء سيعرّج!

فليحاول التوقّع، ثم ليقارن بين توقعه وبين ما يسمعه من الخطيب.

وأما أن يكون الاطلاع بصورة غير مباشرة، من خلال الكتب والمصنّفات التي اهتمّت بتسجيل بعض اللقطات التي يمكن أن توظّف

توظيفاً رائعاً في التخلّص.

ولعلّ أشهر كتاب يمكن أن يعين في هذه المرحلة هو كتاب «الخصائص الحسينية» للعلامة الخطيب الشيخ جعفر التستري رحمه الله. وهو كتاب يحظى بأهمية خاصة عند خطباء المنبر الحسيني. كما يمكن الرجوع إلى بعض الكتب الأخرى التي صيغت على شكل مجالس يتم في آخر كل مجلس ربطه بحدث من أحداث كربلاء، مثل كتاب «شجرة طوبى» للمرحوم الشيخ محمد مهدي الحائري ففيه أمثلة كثيرة على التخلّص.

هذه هي أهم النقاط التي يمكن من خلالها أن يوفّق الخطيب للوصول إلى «تخلّص» مناسب ودقيق ومؤثّر.

ومن الجدير بالذكر، أن «التخلّص» كان من الفقرات الفنية التي رافقت تطوّر المنبر في مرحلته الأخيرة «راجع مراحل تطور المنبر الحسيني». ويُذكر أن أول خطيب حسيني أخترع أسلوب التخلّص في المنبر الحسيني، كان الخطيب المشهور الشيخ كاظم سبتي رحمه الله «راجع كتاب: ما في النجف وحاضرها للشيخ جعفر محبوبة».

ويُطلق على التخلّص في المجالس الحسينية في العراق والخليج والمنطقة العربية في إيران، مصطلح «الكَريز» بالكاف الأعجمية، وهي كلمة فارسية الأصل معناها: النُقلة.

وفي نهاية فقرة التخلّص لا بد من التأكيد على ما يلي:

النقطة الأولى: على خطيب المنبر الحسيني النابه، أن يختار «التخلّص» المناسب مع ظروف مجلسه ومستوى الحاضرين الثقافي

والاجتماعي، لأنه قد يكون «تخلّص» رائع في ظرف ما غير موفق في ظرف آخر.. فالمسألة راجعة إلى اختيار الخطيب وحسن انتقائه.. وكأمثلة:

أ- حضر أحد الطلبة الجدد، مجلساً في مخيّم الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء ليلة الحادي عشر من المحرّم.. وهذا المجلس وبهذه الظروف المكانية والزمانية، يكون الدمع فيه منساباً والقلوب فيه منفعلة مع مصائب الطف. ولما ارتقى الخطيب المنبر بقي ساكناً مدةً حتى الفت أذهان الحضور، فسكتوا واصغوا إليه ينتظرون ما هو سبب سكوته، هل نسي الشعر أو المصيبة أم ماذا؟ وإذا بهذا الخطيب يقرّب أنفه من الميكرفون وهو يصد أصوات الشمّ وكأنه يشمّ رائحة ما.. فقال: إني أشم رائحة حريق وأشياءً محترقة.. وحينما أراد بعض الحاضرين أن يعرف مصدر رائحة الحريق هذه بادرهم الخطيب: لعلّ هذه من بقايا خيام الحسين المحترقة هذا اليوم هنا في المخيّم فالتهب المجلس بكاءً وصراخاً وحنيناً...

ثم صادف أن التزم هذا الخطيب المبتدئ قراءة مجالس لليالي عاشوراء، في السنة القادمة وعند قرية من القرى حيث تُبنى بيوتهم من القصب وجذوع النخل والحصر، ويعتبر الحريق عندهم كارثة حقيقية، رغم ذلك فقد قرّر هذا الطالب أن يسرد نفس ما جرى من ذلك الخطيب في مخيم الحسين عليه السلام بكربلاء... ولما أخذ يشمّ ثم يقول إني أشمّ رائحة حريق وإذا بالناس ينهضون خائفين مذعورين، حذر الحريق المزعوم هذا حتى تركوا المجلس وذهب كل رجل ليطمئن على بيته السريع الاشتعال!!

إذن ليس كل «تخلّص» يكون مناسباً مع اختلاف الظروف الزمانية والمكانية.

ب- كان الخطيب الحسيني الشهير الشيخ جواد القسّام رحمه الله مدعوّاً لقراءة مجلس في وفاة والدة أحد رؤساء العشائر المشهورين أيضاً واسمه مبدر آل فرعون... واحتشد المجلس وكان الخطيب على منبره في صدر المجلس بينما ابن المتوفاة في آخره فأخذ الخطيب يسأله كيف توفيت الوالدة؟ وظروف الوفاة. ثم تابع أسئلته متى توفيت الوالدة؟ فأجابه: لقد توفيت والدتي عصراً، فبادره الخطيب سائلاً: ولماذا لم تدفن والدتك ليلاً؟. فقال ابنها: كيف يمكن أن تدفن أميّ ليلاً، وأنا ولدها رئيس العشيرة المعروف، والشخصية الاجتماعية البارزة، نعم لا يمكن دفنها حتى تجتمع العشائر وتسمع بذلك القبائل وتأتي الوفود ويجتمع الأرحام، حتى شيّعناها نهاراً مع الاهازيج العشائرية تشييعاً يليق بها وبي وبعشيرتي!!

هذا والناس يستمعون هذا الحوار، وهم لا يدرون هدف الخطيب من هذا الحوار، وإذا بالخطيب يرفع صوته صارخاً وناعياً:

ولأي الأمور تدفن ليلاً

بضعة المصطفى ويُعفى ثراها

أمُّ مَن بنتٌ منْ حليلةُ من

ويلٌ لمن سنّ ظلمها وأذاها

فانفجر المجلس بالبكاء بهذا التخلّص الفني الرائع في ربط ظروف دفن هذه المرأة مع ظروف دفن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء.

ولكن صادف أن أحد الخطباء البسطاء كان حاضراً هذا المجلس فأعجب بهذا التخلّص. وذات يوم توفيت والدة أحد الفلاحين الفقراء، فدعي للقراءة في مجلس قليل الحضور محدود التواجد..

وإذا بهذا الخطيب يحاول محاكاة الشيخ جواد القسّام وتقليده في مجلسه المشهور آنفاً.. فبدأ يخاطب ذلك الفلاح الفقير ... كيف توفيت الوالدة؟ وما هي ظروف وفاتها؟...إلخ.

ولكن صادف أيضاً، أن هذا الفلاّح المسكين كان حاضراً ذلك المجلس المشهور، وإذا به يقاطع الخطيب بلغة لا تخلو من استهجان وتهكّم! مولانا إقرأ مجلسك ولا تضخّم الموضوع، فلا أنت كالشيخ ابن قسّام، ولا أنا كرئيس العشيرة مبدر ولا والدتي كوالدته!! فضحك الناس وأسقط ما في يدي الخطيب وفشل مجلسه وولّى هارباً.

النقطة الثانية: إن هناك مجتمعات عريقة في إقامة المجالس الحسينية، تكوّنت عندها على تراكم الخبرات والاستماع لشيوخ الخطباء واستمرارية المجالس لعدة مناسبات وبمختلف الظروف، تكونت خبرة ونشأ ذوق ونمى حسٌ مرهف، يتجاوب مع الخطيب ويتفاعل معه.. فتسهل بذلك مهمة الخطيب وتكون فرص النجاح لديه أكثر.. ومن جملة تلك التسهيلات أن المستمع يفهم مراد الخطيب وقصده والنقطة التي يريدها.. ولكن الأمر لا يكون كذلك في مجتمع أو بيئة قليلة المجالس محدودة الخطباء جديدة العهد بها، فما يكون تخلصاً نافعاً في مجلس قد يكون نافع في مجلس آخر لا يمتلك عراقة الأول وقدمه وخبرته.

وكمثل على ذلك... فقد ارتقى أحد كبار الخطباء وهو الشيخ عباس قوزي المنبر في يوم عاشوراء، وهو بحذائه مما أثار استغراب الحاضرين واستهجانهم، وارتفعت همهماتهم فيما بينهم، كيف يرتقي الخطيبُ منبر سيد الشهداء بحذائه وفي يوم عاشوراء؟

وإذا بذلك الخطيب يلتفت إليهم ليقول: استغربتم ارتقائي المنبر بحذائي؟ والمنبر ما هو إلاّ خشب وقماش أسود، فما تقولون لو رأيتم الشمر يطأ صدر الحسين؟.. وارتفعت أصواتهم بالبكاء والنحيب..

إن هذا التخلّص، الرائع قد لا يكون مناسباً في بيئة أخرى، بل قد لا يبكي الناس في أكثر المجتمعات الحديثة حالياً.

النقطة الثالثة: إن مجالس ليالي عاشوراء، وكما سبق بيانه، تنتهي بمصائب معروفه لكل ليلة من الليالي، وبالتالي فإن نفسية روّاد المجالس مهيأة للاستماع إلى مصيبة خاصة، وبالتالي فهم يتوقعون أن يكون التخلّص لكل مصيبة محدّداً مسبقاً، وهذه الحالة لا تلغي إبداع الخطيب في اختراع طرق تخلص متنوعة وجديدة.

وما يقال عن ليالي عاشوراء، يقال عن المجالس التي تعقد في مناسبات وفيات المعصومين عليهم السلام فبالرغم من كون هذه المجالس محدّدة المصيبة، إلا أنها لا تلغي دور فقرة التخلّص في مزيد من الإبداع والتفنن.

أما ما عدا ذلك من المجالس، وطوال السنة، مثل مجالس بقية شهر المحرم، ومجالس شهر صفر ومجالس شهر رمضان الفضيل، فإن الخطيب فيها مخيّر باختيار نوعية الموضوع «المحاضرة» كما له الحرية باختيار فقرة المصيبة وما يناسبها من تمهيد عبر فقرة التخلّص.

ونؤكد أخيراً، أن نجاح الخطيب الحسيني في فقرة «التخلّص» يعود إلى عوامل عدة منها: متابعته لشيوخ الخطباء، وأساتذة المنبر، الاطلاع الكامل على كل تفاصيل السيرة الحسينية، حسّه المرهف وحسن أسلوبه وقدرته على الإبداع المتواصل.

الدرس السادس عشر

فقرة المصيبة (١)

أكملنا في درسنا السابق الفقرة الرابعة من فقرات المنبر الحسيني المعاصر، وهي فقرة «التخلّص». وفي هذا الدرس نواصل دراستنا لبقية الفقرات وهما «المصيبة» وَ «الدعاء».

٥- فقرة المصيبة:

ونعني بها التوقّف عند مفردة من مفردات أحداث واقعة كربلاء ذات الجانب العاطفي الحزين، حيث يتم إشباع هذا الجانب بالشعر الرثائي المناسب لها، وبنوعية الشعر العربي الفصيح «القريض»، والشعر الشعبي المتداول.

وفي هذه الفقرة يتغير أداء خطيب المنبر الحسيني، شكلاً ومضموناً أما شكلاً: فمن خلال تغيّر نبرات صوته وارتفاعها، واستخدام أطوار وأساليب الإنشاد العاطفي الحزين. فالخطيب نفسه الذي كان هادئاً في حديثه، طبيعياً في طرح محاضراته، نجده في هذه الفقرة رافعاً صوته، مغيّراً نبراته لمزيد من الإبكاء وإيقاد العواطف الحزينة وإذكاء الإشجان.

وللدّقة العلمية، فإن نبرات صوت الخطيب تبدأ في نهاية فقرة «التخلّص» السابقة، ولكن التغيّر هناك تغيراً بسيطاً يتمثّل بترقيق

الصوت دون رفعه، وبأسلوب رقيق هادئ في عملية تهيئة للوصول بروّاد المجالس الحسينية إلى حالة الإبكاء واستدرار الدموع.

إن فقرة «المصيبة» كانت من التطورات الفنية التي طرأت على المنبر الحسيني عبر مراحله التاريخية. فقد كانت المصيبة ضمن قصيدة الرثاء التي لم يكن غيرها في بداية نشوء المنبر كما مرّ بنا. فحينما كان الشاعر يقرأ قصيدته الرثائية، فإنما كان يعرض جوانباً من كربلاء وأحزانها ومصائبها، دون أن يكون للمصيبة فقرة خاصة. ثم أن الشعر الرثائي في بدايته لم تكن تصاحبه تغيرات في الصوت وتجويد في الإنشاد الحزين. نعم بدأ ذلك بوقت مبكر، حينما طلب الإمام الصادق عليه السلام من أبي هارون المكفوف المُنشد، أن يعيد قراءته لقصيدة السيد الحميري بأسلوب شجي وطريقة مُحزنة وإنشاد عاطفي. «كما ذكرناه في دروسنا الأولى».

ومع تطوّر المنبر، ودخول عنصر الوعظ بعد إنشاد القصيدة في مقدمة المجلس، كان لا بد من ختم المجلس بالعودة إلى كربلاء وآلامها مرة أخرى، فنشأت فقرة «المصيبة».

إن فقرة «القصيدة» التي سبق لنا دراستها، كانت تتضمن التعريج على كربلاء ومصائبها، وقد قلنا أن الأفضل من الناحية الفنية أن يتم انتقال الخطيب من طور «الدرج» إلى طور «المثكل» حينما ينتقل الشاعر إلى كربلاء وأحزانها. كما قلنا هناك - أن العادة قد جرت أن لا يكتفي بإنشاد القصيدة الفصحى في أول المجلس، بل تُلحق بها أبيات من الشعر الشعبي العراقي أوالخليجي.

لكننا هنا ونحن في نهاية المجلس، فإن فقرة «المصيبة» تختلف عن سابقتها التي جاءت ضمن القصيدة في جملة نقاط منها:

أ- ضرورة التمهيد لفقرة «المصيبة» بفقرة «التخلّص» كما درسنا، بينما لا تحتاج المصيبة التي تأتي ضمن القصيدة إلى تمهيد من قبل خطيب المنبر الحسيني.

ب- إن المصيبة الواردة في القصيدة لا تحتاج إلى إشباع، كما ينبغي أن يكون عليه الحالة في فقرة «المصيبة» آخر المجلس. فإذا لم يتم التفاعل العاطفي مع القصيدة ومصيبتها ولم يحدث إبكاء ولم تنزل الدموع، فهو أمر لا يقدح بقدرة الخطيب ومقدرته الفنية في الوصول بالمستمع إلى مستوى ذلك، وإلى حدّ واضح. أما أن لا يوفّق الخطيب في أن يصل بروّاد مجلسه في فقرة «المصيبة» إلى مستوى الإبكاء، فهي مسألة بحاجة إلى مراجعة ودراسة، وهي ظاهرة تمس صميم مهمة الخطيب الحسيني.

صحيح أن المسألة نسبيّة، تختلف من مجتمع منبري لآخر، ومن مستوىً لثانٍ، ولكن لفقرة المصيبة خصوصية واضحة في إيصال خطيب المنبر الحسيني بروّاد مجلسه إلى نقطة الانفجار العاطفي والبكاء أو التباكي.

ج- في فقرة «المصيبة» وللوصول إلى ما ذكر أعلاه، فإن الخطيب لا يكتفي عادة بطور خاص، ولا بإسلوب واحد في إذكاء العواطف الحزينة المتعلقة بالمفردة التي اختارها لإنهاء مجلسه بها. فنجده يستخدم عدة أطوار من الشعر الفصيح والشعبي الدارج، ينتقل فيه من الفصيح إلى

الشعبي وبالعكس، حتى يجد أن المجلس قد أخذ كفايته من الإذكاء العاطفي والإبكاء الحزين. بينما جرت العادة في إنشاد القصيدة على اتباع أطوار محدّدة، وقد لا ينتقل إلى الشعر الشعبي بعدها، وإذا فعل ذلك فمن غير المألوف والمستساغ عودته مرة أخرى إلى الشعر الفصيح.

د- إن المصيبة التي تأتي ضمن فقرة «القصيدة» لا تحتاج إلى بيان وعرض من قبل الخطيب، فلا تبرز فيها قدرته الإبداعية أو الأدبية في صياغة الكلمات وسبك الألفاظ، بينما نجد أن فقرة «المصيبة» في نهاية المجلس تأتي أولاً بعد فقرة «التخلّص» التي تمهّد لها، وثانياً لا بد للخطيب أن يصوّر المفردة الحزينة، ويقرّب جوانبها العاطفية، وهو يسعى لإذكاء الأحزان واستدرار الدموع، مستخدماً رصيده الأدبي، ومقدرته التصويرية، بل قد ينزل الخطيب الحسيني من منبره، ولاقطة الصوت بيده - لمزيد من الإبكاء - ويتجوّل بين الناس، كما هو الحال في بعض مجالس الخليج، وهذا لا يكون عند إنشاد القصيدة. فالنقطة الرابعة هنا، إن مستوى الخطيب وقدرته وكفاءته ورهانة أسلوبه تبرز في فقرة «المصيبة» هذه، وبشكل واضح.

هـ- في أثناء إنشاد القصيدة لا يحتاج الخطيب إلى إيراد نصّ يتعلّق بالمصيبة التي تتناولها هذه القصيدة، بينما يحتاج الخطيب في فقرة «المصيبة» إلى إيراد النصّ المأخوذ من كتب المقاتل والسير، حتى يهيأ الأجواء ويوضّح الصورة ويبرز المفردة الحزينة، التي يريد توظيفها في هذه الفقرة. وهنا تبرز ضرورة حفظ النصوص المتعلقة بجوانب كربلاء وما فيها من حوارات وأشعار وتوصيف المواقف.

ونورد مثالاً يتضمن النقاط التي ذكرناها آنفاً...

لو فرضنا أن خطيب المنبر الحسيني، كان يطرح محاضرة في الأخلاق وأهميتها أو في خصوص أخلاق النبيﷺ، ثم أخذ الخطيب يفكّر في مفردة المصيبة التي ينبغي اختيارها لإنهاء مجلسه، فاختار - فرضاً- مفردة مصيبة عبد الله الرضيع بن الإمام الحسين عليه السلام. فالخطيب لا بد عليه أولاً أن يهيء ذهن المستمع ونفسيته للانتقال من المحاضرة إلى كربلاء، أي لا بد أن يمرّ بفقرة «التخلّص» قبل وصوله إلى فقرة «المصيبة».

فتبدأ نبرات صوته بالتغيّر، حيث يتحدث بطريقة هادئة حزينة وكأنه يخاطب قلوب الحاضرين وضمائرهم، فيقول - على سبيل المثال -: هذه أخلاق الإسلام وهذه أخلاق رسول اللهﷺ الذي كان يحبّ الأطفال ويرعاهم، ويقولﷺ لمن لم يقبّل طفله الصغير «من لا يرحم لا يُرحم».. حتى كان يؤتى بالأطفال إلى رسول اللهﷺ ليؤذن ويقيم في آذانهم وليدعو لهم ويباركهم ويمسح بيديه الحانيتين عليهم...

«وهنا تبدأ نفسية المستمع بالاستعداد لما يريد الخطيب إيصاله إليه، وهي مصيبة الطفل الرضيع».. أقول سيدي يا رسول الله، إذا كنت تعامل أطفال المسلمين بهذه الرقّة وهذه العاطفة وهذا الحنّو.. فأين أنت يا من بعثت رحمة للعالمين عن أبنائك يوم عاشوراء.. أين أنت عن أطفال الحسن وأطفال الحسين...

«لاحظ هنا أن الخطيب أخذ يوظّف قدراته الفنية والتصويرية والأدبية للانتقال إلى فقرة المصيبة».

نعم أين أنت يا نبي الله عن كربلاء، لا أعلم حالك إذا نظرت إلى

عزيزك الحسين وهو يودّع طفله الصغير عبد الله الذي كان له من العمر ستة أشهر يودّعه وبناتك المفجوعات في الخيام ينظرن إليه باكيات نادبات «فإذا أدرك الخطيب أن الجو تهيأ للبكاء، وأن العواطف الحزينة قد أُذكيت وأن الدمع على وشك النزول من العيون، وصل إلى الصاعق الذي يفجّر ذلك، بإيراده مفردة المصيبة، لاحظ هنا اختلاط التخلّص بالمصيبة واندماجهما بشكل فني رقيق وانسيابي».

نعم خرج الحسين بطفله إلى القوم، وينقل بعض أرباب المقاتل عن حميد بن مسلم قوله: إن الحسين عوّدنا أنه إذا أراد أن يخرج للوعظ والخطابة برز على ناقة له، وإذا أراد أن يبرز للقتال برز على فرس له... ولكن هذه المرة خرج الحسين ماشياً على قدميه وتحت ردائه شيء يظلله من حرارة الشمس..

يقول حميد بن مسلم: فحققنا النظر إليه وإذا به طفله الرضيع

«إلى الآن كان الخطيب يعرض هذه المفردة المؤلمة بنبرات صوت هادئة وحزينة وتصويرية، ثم لا بد أن يفجّر البكاء والحزن بالشعر الرثائي بكل ألوانه التي يراها مناسبة لهذه المهمة».

ودعا الأقوام يا لله من خطب فظيع

نبئوني أنا المذنبُ أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

فناداهم الحسين: يا قوم قتلتم أخوتي فصبرت، قتلتم أبناء عمومتي فصبرت، قتلتم أصحابي فصبرت، ولم يبق عندي إلا طفلي الرضيع

هذا، والله قد جفّ ثدي أمّه من اللبن، خذوه واسقوه بأيديكم ماءً.

فاختلف القوم، وبكى بعضهم فقال عمر بن سعد لحرملة بن كاهل: أقطع نزاع القوم، أرمه بسهم من كنانتك.. يقول حرمله: كان الطفل مغطىً ببرقع فجاءت ريح وأزاحت البرقع وإذا برقبة الطفل على عضد أبيه الحسين كأنها إبريق فضة فرميته بسهم ذبحته من الوريد إلى الوريد.

يقول الإمام الباقرد: لما أحس طفل جدي الحسين بحرارة السهم، أخرج يديه من القماط وجعل يرفرف على صدر أبيه الحسين كالطير المذبوح... وضع الحسين يده تحت منحر الطفل حتى امتلئت دماً ثم رمى بها إلى السماء:

تلكه الحسين دم الطفل بيده
أشحاله اليقتل بحضنه أوليده
شاله وترس كفّه من وريده
ذبّه للسماء وللكاع ما خرّ

ثم أن الحسين لم يرجع به إلى أمه الرباب فالأم لا تقوى أن ترى طفلها مذبوحاً ولكن رجع به إلى خيمة عمته زينب، فصرخت: واولداه وا ابن أخيّاه...

ما حال عمّته وحال شجونها
من نار أحشاها وماء جفونها
لما رأت خطفته كفّ منونها
همّت تغسّلهُ بماء عيونها
فتكفلت عنه الدماء بغسله

«وبعد هذا التخميس قد يجد الخطيب أن المجالس ما زال بحاجة إلى إشباع فيأتي ببيت أبو ذية من الشعر الشعبي»:

عيوني تسحب العبرة بالمهاد

على الناموا على الغبرة بلا أمهاد

طفلهم مالحك يمهد بالإمهاد

وحزت ركبته سهام المنيّة

«فإذا أراد الخطيب إنهاء المجلس فلا بد أن يأتي ببيت يُعرف ببيت التخلّص أي يتخلّص به من المجلس، أي ينهيه، أو ربما بيتين أو أكثر بل ربما تخميس، ولكن المهم أن يقرأ الشطر الأول من البيت الأخير بإحدى طرق النعي، بينما يترك الشطر الثاني وبذا يتم المجلس».

ومنعطف أهوى لتقبيل طفله

فقبّل منه قبله السهمُ منحرا

«لا يقرأ هذا الشطر»

وبذا وصلنا إلى نهاية درسنا هذا

الدرس السابع عشر

فقرة المصيبة (2)

في الدرس السابق سلّطنا الضوء على فقرة «المصيبة» وعقدنا مقارنة بين ما يذكر أثناء القصيدة في مقدمة المجلس وبين هذه الفقرة في نهاية المجلس الحسيني.

إن فقرة المصيبة، فقرة أساسية في هيكلية المنبر الحسيني، لا بل تعتبر الفقرة الأهم في بعض مساحات المنبر الحسيني، لا سيما المجالس البيتية ومجالس القرى والمجالس الشعبية العامة، وهي المجالس التي لها حضور واسع في العديد من الساحات.

كما أنها الفقرة التي تميّز خطيباً عن آخر من خطباء المنبر الحسيني. وتميز خطباء المنبر الحسيني عن بقية المحاضرين والخطباء والمتحدثين، حيث تخلو محاضراتهم منها.

إن نجاح الخطيب الحسيني بهذه الفقرة منوط بعدة أسباب، منها:

أ- الاطلاع الكامل والتفصيلي على مفردات واقعة كربلاء في جوانبها الحزينة والمؤلمة حيث يتم إنهاء المجلس بإحداها. وهذا يوفر لدى خطيب المنبر الحسيني خيارات عديدة كما أنها تكسب مجلسه

جاذبية خاصة، من خلال تنوع المصائب التي ينهي بها مجالسه.

إذ أن من المؤاخذات الفنية على بعض الخطباء أنه ينهي مجالسهُ بمفردات معينة لا يتجاوزها إلى غيرها، فيصاب مجلسه بالرتابة ويغيب جانب الإثارة والتنوع فيه.

إن كتب المقاتل هي المادة الأساسية لهذه المفردات التي تعتمد في نهايات المجالس.

ب - حفظ الأبيات الشعرية القويّة والمؤثرة من نوعية الفصيح والشعبي، والتي تعتبر المادة الأساسية لفقرة المصيبة، فبعد أن يوضح الخطيب مفردة من مفردات المصائب فعليه أن يؤيد ذلك ويعمّقه بأبيات النعي المنتقاة. ولهذا ينبغي على الخطيب اقتناء دواوين الشعر التي عالجت هذا الجانب من الشعر الفصيح والشعر الشعبي. وقد سبق الإشارة إلى ذلك سابقاً.

ج - التمكّن من إنشاد أبيات الشعر الرثائي بنوعيه، والسيطرة على طرقه وأطواره وتدريب الحنجرة على حسن إخراجها. لأن حفظ الأبيات الشعرية بحد ذاتها لا يعتبر ذا أثر إذا لم تُقرأ بصوت شجي، وتُنشد بطور حزين، يأخذ مأخذه من مشاعر الناس وتأجيج عواطفهم واستدرار دموعهم. ولهذا فالخطيب بحاجة إلى الاستماع المرهف لطرق النعي والانسجام معها كي نصل إلى مستوى التمكّن والسيطرة، ثم الإبداع في هذا المجال المهم في عالم الخطابة الحسينية.

د- كما سبق أن ذكرنا في فقرة «التخلّص» أن على الطالب متابعة شيوخ الخطباء وأساتذة المنبر الحسيني ودراسة أساليبهم الفنيّة،

فكذلك الأمر هنا بالنسبة لفقرة «المصيبة» من حيث إختيارهم للقطع الشعرية المناسبة مع كل مصيبة، أو الأطوار المستخدمة في إنشادها وقراءتها، أو من حيث وصف المصيبة وتقريبها إلى النفوس كي يتم التفاعل معها.

إن الناحية الفنية في الخطابة الحسينية بحاجة إلى متابعة أساتذة هذا الفن الخاص من الخطابة.

ويمكن للخطيب المبتدئ متابعة مشاهير الخطباء في فقرة المصيبة عبر أشرطة التسجيل المرئية والمسموعة.

هـ- إن تراكم الخبرات والإستمرار في قراءة المجالس ومتابعة القراءة في مختلف المناسبات ومع مختلف المستويات والظروف، من شأنها تنامي قدرة الخطيب في إجادته لفقرة المصيبة. إذن علينا التجربة ثم التجربة والقراءة بعد القراءة...

إن فقرة المصيبة تبرز بشكل مهم في مجالس عاشوراء ووفيات النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام. وإذا تعددت المجالس في كل مناسبة، فعلى الخطيب تهيأة عدة مصائب وتوزيعها على هذه المجالس.

فعلى سبيل المثال، لو كان عند الخطيب ثلاثة مجالس في ليلة العباس عليه السلام، وهي الليلة السابعة من المحرم، فيمكن للخطيب أن يجعل المصيبة الأولى تنتهي بضرب رأسه عليه السلام بالعمود، والمصيبة الثانية تنتهي بوصول الحسين عليه السلام إلى مصرعه عليه السلام، بينما تنتهي المصيبة الثالثة برجوع الحسين عليه السلام إلى المخيم وبكاء النساء لمصرع العباس عليه السلام. وهذا يتطلب من الخطيب مزيداً من حفظ الأشعار

المناسبة لكل مصيبة وما يناسبها من وصف وشرح وإذكاء العواطف الحزينة. ويزداد هذا التقسيم في المجالس المتقاربة حيث يكون الحضور متكرراً في هذه المجالس.

إن فقرة «المصيبة» في أكثر المجالس تكون من اختيار الخطيب وبما يراه مناسباً.

إلا في مجالس عاشوراء والوفيات كما ذكرنا. يضاف إلى ذلك المجالس التي تعقد في تأبين الموتى في ما يعرف بالفواتح أو الأسابيع أو الأربعين والسنوية... حيث على الخطيب إذا دعي إلى مجلس تأبين أن يعرف من هو المتوفى هل هو رجل فلا بد أن يختم المجلس بمصائب الحسين عليه السلام أو هو امرأة فيختم المجلس بمصيبة السيدة الزهراء عليها السلام أو هو شاب فيختم المجلس بمصيبة علي الأكبر أو القاسم بن الحسن عليهما السلام، وإن كان طفلاً فيختم المجلس بعبد الله الرضيع وهكذا.

إن حسن اختيار المصيبة المناسبة مع نوعية المجلس من أسباب نجاح الخطيب وانسجام المجلس وتكامله محتوىً وشكلاً.

إن الحديث عن فقرة المصيبة حديث طويل ومتنوع ومتعددة الأبعاد، مع اختلاف المجالس وتنوعها وتنوع مناسباتها ومستويات حضّارها وأمور كثيرة تأتي تباعاً إلى خبرة الخطيب بل يزداد خبرة مع تقادم عمره الخطابي.

٦- فقرة الدعاء:

وهي آخر فقرة من فقرات المنبر الحسيني، وهي فقرة خفيفة لا

تحتاج إلى جهد لا من حيث المعلومة ولا من حيث الأسلوب، حيث يختم الخطيب مجلسه بالدعاء إلى الله تعالى بالمغفرة والرحمة وشفاء المرضى والفرج للمؤمنين ثم يدعى للمؤسسين والحاضرين ويختم الدعاء بطلب قراءة الفاتحة لأرواح المؤمنين والمؤمنات. وتسمح ظروف بعض البلدان بذكر الشهداء أو المجاهدين، في حين لا تسمح ظروف بلدان أخرى لهذا الدعاء، فعلى الخطيب مراعاة ذلك.

ومع استمرار المجالس يختار الخطيب دعاءً معيناً يدأب عليه، بل ربّما عرف به، والآن نجد أن لكل خطيب مقطوعات من الدعاء اختارها يختم بها مجلسه.

وبانتهاء فقرة «الدعاء»، يكون المنبر الحسيني قد استوفى كل فقراته، وبهذا نأمل أن نكون قد وفقنا لبيان الخطوات المتتابعة التي تشكل القواعد العامة لهذا النحو الخاص من أنحاء الخطابة الدينية وهي الخطابة الحسينية.

واستكمالاً لموضوعنا حول الخطابة الحسينية، وبعد ان بينا مواصفات المنبر الحسيني وخصائصه، سنتوقف عند مواصفات خطيب المنبر الحسيني التي ينبغي توافرها فيه، وعلى أساسها يمكن أن يُحكم على استيفائه بالشرائط التي تشكل القاعدة الصحيحة لتكامل خطيب المنبر الحسيني.

الدرس الثامن عشر[1]

أوصاف خطيب المنبر الحسيني

استكمالاً لدروسنا الماضية، نطرح اليوم درساً حول المواصفات التي يفترض توافرها في الخطيب الحسيني حيث يعتبر خطيب المنبر الحسيني، هو قطب الرحى، في تلك التجمعات الضخمة، والمحافل الكبيرة، فهو العامل الأول، الذي يؤدي إلى نجاح المآتم الحسينيّة. فبقدر إجادة خطيب المنبر الحسيني لمهمّته، وتمكّنه من إشباع بحثه، ومحاضرته، علميّاً وعاطفياً. يتقرر مقدار حضور الناس إليه أو انكفاؤهم عنه.

ولهذا، فإنه لابُدَّ من توافر شروط، ومؤهّلات، في مَن يريد اعتلاء أعواد المنبر الحسيني، وهي قد تكون من الكثرة والتنوع، مما يجعل مصادقيها في الخطباء قليلة.

وقديماً قال المناطقة: إن الشيء كلما كثرت شروطُه عزّ وجودُه.

إن هذه الأوصاف، والمؤهلات، قد تتغير من بيئة لأخرى، ومن مستوى ثقافي وعلمي لثانٍ، حسب نوعية الحاضرين، وما ينتظره روّاد المجالس من أبحاث ومحاضرات، أو بما يستطيعه خطب المنبر الحسيني، من إشباع الجانب العاطفي، وإثارة كوامن الحزن لواقعة

---

(١) الدرس مأخوذ من كتاب (المنبر الحسيني نشوؤه وحاضرهُ وآفاق المستقبل) للمصنّف.

كربلاء. ويمكن لنا أن نصنّف المواصفات والمؤهلات هذه إلى ثلاثة أصناف؛ يشترك فيها الخطيب الحسيني مع العلماء والمثقّفين والمحاضرين في بعضها، ويختصّ في بعضها الآخر، والمؤهّلات هي:

١ - المؤهلات العلميّة والثقافية:

على كل خطيب، في أي شأن من الشؤون، أن يكون ذا اطلاع ودراية بالموضوع، أو البحث الذي يريد طرحه. وبقدر ما كان هذا الخطيب، أو المحاضر، ملمّاً بأطراف الموضوع، وامتداداته، وشواهده، تكون محاضرته أدق، وأنجح، وبالتالي أكثر فائدة. وهذا الأمر يشترك فيه خطيب المنبر الحسيني، مع كل خطيب أو متحدّث. إلا أن الاختلاف هو في طبيعة المحاضرات وموضوع البحث لكل خطيب. ولهذا فإن خطيب المنبر الحسيني، يشترك عموماً، مع كل خطيب أو محاضر، من علماء المسلمين وخطبائهم ومحاضريهم، وبشكل واضح، إلاّ في بعض هذه الموارد التي تمليها طبيعة المنبر الحسيني. وأهم هذه المؤهلات هي:

أ- دراسة تخصصية في العلوم الإسلامية: بما يصطلح عليه بـ «الدراسات الحوزويّة». من مقدمات، كعلوم العربية المتنوعة والمنطق، والتفسير، والحديث، ثم الفقه وعلم الأصول. وكلما تقدّم خطيب المنبر الحسيني، في الدراسات الإسلامية، كلما كان أقدرَ على الطرح الإسلامي الأصيل، وأكثر إحاطة بالمسائل ذات الأبعاد الفقهية، أو التفسيريّة التي يتعرض لها في محاضراته.

وهذه النقطة، في غاية الأهمية، لا من حيث التعمّق، في فهم المسألة الفقهيّة، وأسلوب طرحها منبرياً فقط، بل أنها تسهمُ في عملية اندماج

خطيب المنبر الحسيني، في أجواء طلاّب الحوزة العلّمية. فقد كان مألوفاً - سابقاً - أن يعتلي المنبر، من لا حظ له في الدراسات الدينيّة، خاصة في المآتم التي تهتم بحسن صوت الخطيب، مما أنتج وجوداً غير مرتبط بالحوزة العلمية، وطبيعتها، وانعكس بالتالي على نظرتها إلى خطيب المنبر الحسيني.

نعم، قد لا يصل خطيب المنبر الحسيني، في متابعته للدروس الحوزويّة، إلى مستوى التخصّص الذي يصل إليه طلاّبُ العلوم الدينية المتفرغون لهذه الدروس، ولكن لا بد من دراسة حوزوية على قدر مهم من التتبّع. إن هذه النقطة تميّز خطيب المنبر الحسيني، عن المحاضر المسلم والمثقف المسلم، اللذين قد يكتفيان بمعلومات فقهيّة وأصوليّة عامّة، بينما ينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن ينال حظاً كبيراً من الدراسات الإسلاميّة التخصصيّة.

ب- ثقافة تاريخيّة مركّزة: لما كان خطيب المنبر الحسيني، يولي المسائل التاريخيّة، فيما يتعلّق بتاريخ الإسلام والمسلمين، بل ودراسة التاريخ قبل الإسلام، وفي الحضارات الأخرى، كل هذا من جهة، وبما يخص سيرة النبي الأعظم ﷺ وسير أهل بيته عليهم السلام، والصحابة، والتابعين من جهة أخرى. إضافة إلى مزيد عناية بأدق التفاصيل، لكل ما يتعلّق بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، منذ ولادته وحتى استشهاده، وبما جرى على أهل بيته بعد ذلك من جهة ثالثة. كل ذلك يحتم على خطيب المنبر الحسيني، أن يولي المسائل والأبحاث، والدراسات

(١) هويدي، فهمي: إيران من الداخل. ص ٢٢٢.

التاريخيّة، اهتماماً بالغاً ودقيقاً.

ونظرة ولو سريعة، على مكتبات خطباء المنبر الحسيني الخاصّة، تكشف ضخامة الجانب التاريخي في ثقافتهم، وخاصة فيما يتعلق بواقعة كربلاء.

وقد انعكس اهتمام خطباء المنبر الحسيني بالتاريخ، وأحداثه على ثقافة الإنسان الشيعي، بحيث غدا مطّلعاً على أدق التفاصيل التاريخية، التي قد لا تتأتى إلا لأهل الاختصاص والتتبّع. مما كان يدهش الكثيرين. يقول أحد الكتّاب الإسلاميين «ولم استطع أن أخفي دهشتي من أولئك الذين يحملون التاريخ على أكتافهم أبداً»[1].

ج- ثقافة إسلاميّة عامّة: بعد أن اتسعت المساحة التي راح المنبر الحسيني يعالجها، ولم يعد مقتصراً على إنشاد الشعر الرثائي، أو الوقوف عند بعض الأحداث التاريخية المحدّدة. وأخذ الجمهور يتطلّع إلى خطيب المنبر الحسيني، كمحاضر ذي ثقافة واسعة وعميقة، هذا الأمر الذي حتّم على خطباء المنبر الحسيني، أن يولوا اهتماماً كبيراً، بكل ما يتعلّق بجوانب الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامي.

ولذا أخذ خطيب المنبر الحسيني الناجح، بتناول كل نتاجات المثقفين، والكتّاب والمفكرين الإسلاميين.

مع متابعة الدوريّات والإصدارات الإسلاميّة العامّة... فتجد خطباء المنبر الحسيني، ذوي علاقات أكيدة مع المكتبات ودور النشر ونتاجات المؤلّفين.

وهناك اهتمام خاص، بكل المؤلفات التي تناولت ثورة الإمام

الحسين وأبعادها وآثارها بالدراسة والتحليل والمتابعة.

د- إلمام جيّد بالثقافة التربويّة، والاجتماعية، والنفسية، والسياسية، وعموم الثقافة الموسوعيّة: إن تنوع الأبحاث، والمحاضرات التي يوليها المنبر الحسيني اهتمامه، حتّمت على خطيبه، أن يكون ذا إلمام، في جملة تخصصات، وثقافات تعينه على أداء مهمته، وقوة محاضرته، وكبير انشداد الجمهور إليه.

فالخطيب الحسيني، لا يكتفي بالثقافة الإسلاميّة، والدراسات الدينيّة فقط، بل يحاول أن يكون له حظّاً من كل ألوان الثقافة، خاصة بما يتعلّق بمنبره، كالثقافة التربوية والنفسيّة وأن يكون ذا وعي وثقافة سياسيّة، تعينه على الطرح المناسب وطبيعة الظروف.

إن الثقافة الموسوعيّة أمر مطلوب في ثقافة خطب المنبر الحسيني، وكلما كانت ثقافته متعدّدة، وواسعة، كلما كان أكثر نجاحاً وأعلى شأناً في ميدان الخطابة.

وهناك اهتمام خاص، بالتقاط الشواهد الأدبية، والعقائديّة، والعلميّة، وغيرها، مما يطعّم بها الخطيب محاضرته، كي يغنيها من جهة، ويرفع حالة السأم والملل من جهة ثانية.

ولهذا يحتفظ، كل خطيب منبر حسيني، بدفتر أو دفاتر خاصّة به يجمع فيها كل شاردة وواردة، من كل ما تقع عليه عينه، أو تسمعه أذنه، من المعلومات، التي يتوقع أن يستفيد منها، ذات يوم، ويوظفها في محاضراته ومجالسه.

إن جمهور المنبر الحسيني، ينظر إلى الخطيب ذي الثقافة

الموسوعيّة المتنوّعة، بأنه خطيب يولي محاضرته وجمهوره اهتمامه، وأن حديثه ليس مجرّد كلمات يلوكها اللسان، بل هي أرقام ومعلومات، جاءت بعد تتبّع، وبحث وتدقيق، ومزيد عناية.

وتعتبر المكتبات الخاصة، بخطباء المنبر الحسيني، من أغنى المكتبات، في تنوعها وتوسعها وإحاطتها بفنون المعرفة، لذلك فإن «من أهم مكتبات النجف الخاصة، مكتبات خطباء المنابر الحسينيّة، الذين تلزمهم مهمتهم، كخطباء، الإحاطة بالتاريخ، والشعر، والأدب، واللغة، إحاطة لا يمكن أن تتيسّر بدون مكتبة زاخرة بالمصادرة المهمّة من أمهات الكتب»[1].

وهنا ننهي درسنا هذا على أن نواصل هذا البحث في الدرس القادم.

(١) الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف ٣٠٩/٧.

الدرس التاسع عشر

المؤهلات الفنيّة في خطيب المنبر الحسيني(١)

حيث نكمل في درسنا هذا بقية المواصفات والمؤهلات التي ينبغي للخطيب التحلّي بها. إن ما ذكرناه في الصنف الأول من المؤهلات، كانت تتعلق بما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «المعلومة». ومجرد حصول الخطيب - أي خطيب - على المعلومة، لا يصيّر منهُ خطيباً.. إذ أن الخطابة تحتاج إلى مؤهلات فنيّة تمكّن الخطيب من صياغة، وطرح المعلومات التي عنده بما يفعّل تأثيرها، من خلالها على الجماهير.

وبهذه المؤهلات الفنّية، يتميز الخطيب عن المحاضر؛ الذي يكتفي بطرح المعلومات، التي عنده بأسلوب هادئ وبنمط واحد تقريباً. بينما على الخطيب، أن يكون طرحه وأسلوبه، مراعياً فيه الجماهير بمستوياتها المختلفة، وشدّها إليه، وإيصال معلوماته إليه. في حين أن المحاضر عادة يخاطب مستوىً معيناً وشريحة خاصة من الناس.

وبعض هذه المؤهلات الفنّية ضروريّة لكل خطيب.

مثل: إبراز المقاطع المهمة في الخطبة، عدم جعل الصوت على وتيرة واحدة، تغيّر سرعة الحديث، التوقف قبيل وبعيد كل فكرة

---

(١) كارنيغي، دايل: التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، مقاطع مختلفة من الكتب.

مهمة، استعمال إشارات اليدين والرأس أثناء إلقاء الخطبة وإلى غير ذلك من المواصفات الفنية[1].

ومع ذلك فلا بد من أن نؤكد على بعض المؤهلات الفنيّة، التي تكون وثيقة الصلة، بخطيب المنبر الحسيني، وأهمها:

أ- امتلاك مستوىً جيد من القدرة على الحفظ:

ينبغي على خطيب المنبر الحسيني، أن يحفظ العديد من النصوص، التي تشكّل عنصراً مهمّاً وأساسيّاً في نجاحه خطابيّاً.

فبالإضافة إلى استظهار آيات قرآنية كريمة، وبعضاً من الأحاديث الشريفة وما ينقل عن توجيهات الأئمة والصالحين، فإن هناك عناية خاصة، تبذل لحفظ خطب، أو مقاطع من نهج البلاغة وكذلك تحفظ خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ذات المضامين اللغوية العالية، وكذلك النصوص المتعلقة بواقعة كربلاء، مثل الكتب التي راسل بها الإمام الحسين عليه السلام الآخرين، وخطبه، وكذلك خطب بعض أصحابه يوم عاشوراء. وهناك اهتمام خاص بخطبتي الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، والسيدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، في الشام حينما وصلتها السبايا.

لقد كان خطيب المنبر الحسيني سابقاً يتلو خطبته، من كتاب أو دفتر يقرأ على الناس. ولكن ومنذ عهد الشيخ كاظم سبتي«المارّة ترجمته» أخذ خطباء المنبر الحسينيون، يتبارون بكثرة محفوظاتهم. فهم بالإضافة إلى حفظ المحاضرة بأكملها بما يحتوي من أفكار، وآراء ومطارحات، ونقاط وشواهد، تحفظ بعض النصوص الخاصة،

وكذلك لا بدّ من حفظ القصائد الشعريّة، التي تتلى في مقدمة المحاضرة، لا سيما في مجالس، العشرة الأولى من المحرّم، ووفيات النبي ﷺ، وبقية أهل البيت عليهم السلام. إن ملكة الحفظ تبلغ ببعض الخطباء، أن يستظهروا كل حوادث يوم عاشوراء بأسماء أشخاصها، وأشعارهم، وحواراتهم مرتّبة تاريخيّاً، مع ما يناسب كل مقطع من شعر رثائي، باللغة الفصحى، أو العاميّة العراقية الدارجة. ويستمر الخطيب يوم عاشوراء في قراءة المقتل، لما يزيد على ساعتين متصلتين، بصوت مرتفع، وإنشاد للشعر، وأسلوب عاطفي حزين. إن زيادة رصيد الخطيب الحسيني، من المحفوظات الشعريّة والتاريخية والنصوصيّة يعني زيادة فرص نجاحه، وتميّز منبره وشدّة إقبال الناس على محاضراته.

ب- التمتّع بقَدْر جيد من رقة الصوت:

لما كانت خطابة المنبر الحسيني، قد ارتبطت بشكل أساسي، بالتعريج على واقعة كربلاء، والتوقف عند مقطع منها، وإشباعه بالشعر والإنشاد الحزين، بل إن بداية المنبر الحسيني، كانت عبارة عن إنشاد الشعر الرثائي، الذي قيل في الإمام الحسين عليه السلام. حيث كان أئمة أهل البيت عليهم السلام، يعقدون تلك المجالس في بيوتهم، كما مرّ علينا في الفصل الثاني من هذا البحث.

ولقد وجدنا، أن اهتمام الأئمة بعنصر الصوت ورقّته كان مبكّراً، ففيما نقلنا من رواية دخول أبي هارون المكفوف على الإمام الصادق عليه السلام، وإنشاده قصيدة للشاعر السيد الحِمْيَري، فعلّق

الإمام على ذلك الإنشاد، وطلب من هذا المنشد، قراءة المراثي بصوت رقيق.

ولا يزال الصوت ورقته، من المؤهّلات الفنية المهمّة، في خطب المنبر الحسيني، بل يعتبر هو العنصر الأهم إطلاقاً، في المجالس التي تعقد في القرى والأرياف، وبعض مجالس البيوت في العراق، وبلدان الخليج. أما في لبنان، فإن الصوت ورقّته، هو العنصر الأهم في خطيب المنبر الحسيني، في كل المجالس كبيرها وصغيرها، المهم منها ومتواضع الأهمية.

ولهذا، إذا اكتشف طلاّب العلوم الدينية المبتدؤون، أحد زملائهم، ممن يمتلك حسن الصوت، انهالوا عليه، ناصحين ومشجعين، أن ينخرط في صفوف خطباء المنبر الحسيني!.

كما تنهال نصائح مغايرة أخرى،على من يعتلي أعواد المنبر الحسيني، وصوته ليس بتلك الرّقة والعذوبة المتوقّعة، بأن يترك الخطابة الحسينية لأن صوته لا يساعد عليها.

وقد كان عنصر رقّة الصوت، من الأمور التي حالت، دون توجّه الكثيرين، نحو حقل خطابة المنبر الحسيني. وفيهم من لا يُستهان بعلمه ومعلوماته وتقواه.

والواقع أن «حسن الصوت وحسن الإلقاء، والتّمكن من التصرّف بنبرات الصوت، وتغييره، حسب الحاجة، من أهم ما يميّز الخطيب الناجح. وذلك في أصله موهبة ربّانية، يختص بها البشر من غير كسب، غير أنها تقوّى وتنمو بالتمرين، والتعلّم، كجميع المواهب

الشخصيّة[1]. ولكن لا بد من وجود طبقات صوت مهيّأة للتمرين والتطوّر.

إن الصوت الجميل الرقيق، له أبلغ الأثر، في إثارة الشحنة العاطفيّة، التي تنتهي بالبكاء. في نهاية فقرات المنبر الحسيني، والبكاء كان ولا يزال أمراً أساسيّاً، يتميّز به خطاب المنبر الحسيني، عن بقية المنابر، إسلامية وغيرها.

ويعلّق الخطيب السيد صالح الحلّي «المارة ترجمته في نهاية الفصل الثالث» على هذه النقطة بقوله: «إن خطيب المنبر الحسيني، يحتاج إلى حاءات ثلاثة هي: الحظ والحفظ والحسّ»[2] أي الصوت[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[4].

وإذا كان عنصر الصوت، من العناصر المهمّة، في خطابة كل خطيب؛ فإنه في الخطابة الحسينية في غاية الأهمية، لأن خطيب المنبر الحسيني لا يكتفي بالخطبة العادية ككل خطيب، بل لا بد له من إنشاد الشعر الرثائي، باللغتين الفصحى والعاميّة، واستخدام أطوار وطرق متنوعة، وبما يستلزم بذلك من ترجيع للصوت وتغيير نبراته.

(١) المظفر، محمد رضا: المنطق، ٣/٣٧٣.

(٢) السيد حسن، داخل: معجم الخطباء، ١/٥٩.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١/٤٩.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٢.

الدرس العشرون

المؤهلات الفنية في خطيب المنبر الحسيني(2)

❖ المؤهلات الفنية

إكمالاً للمؤهلات الفنية في خطيب المنبر الحسيني نبدأ درسنا بالتوافر على خبرة بفن الخطابة الحسينية. إن خطيب المنبر الحسيني، لا يكتفي بإبراز الجوانب العلميّة والثقافية والمعلوماتية العامّة التي يرعاها كل خطيب. أو بمشاركة كلّ الخطباء في ضرورة توافره على المؤهلات والأوصاف الفنية، المرتبطة بالخطابة بشكل عام. ويزيد عليهم في نمط خاص، من الأساليب الفنية يتميّز بها. فمثلاً في بعض بلدان الخليج، لا يكتفي خطيب المنبر الحسيني، بإلقاء محاضرته وإنشاد الشعر الرثائي، بعد ذلك على المنبر، بل ينزل من على منبره، ولاقطة الصوت بيده، يختلط بالجمهور المحتشد، بين يديه، ليزيد من بكائهم وانفعالهم، وإذا كان أحد العلماء الكبار، أو أحد السادة الأشراف المبرزين، حاضراً في المجلس، فإن الخطيب ينزل ليوجّه له أبيات العزاء، مما يزيد في بكاء الناس وتأثرهم.

وقد نجد، بعض خطباء المنبر الحسيني، يرمي بعمامته إلى الأرض، في بعض مقاطع ذكر المصيبة، مثل لحظة ضرب رأس أمير المؤمنين عليه السلام، في محراب جامع الكوفة، ليلة ١٩ شهر رمضان، أو

لحظة قطع رأس الحسين عليه السلام، ظهيرة يوم عاشوراء.. وما أن يرى الناس ذلك، حتى ترتفع أصواتهم بالنحيب والبكاء.. وبقدر ما يمتلك من يتلو السيرة الحسينية، من براعة في الأداء، وفي تغيير نبرات الصوت، وجعلها منسّقة مع الكلمات والمعاني، وبقدر ما يبدو متأثراً مع تلاوته للسيرة، ومع إنشاده لأبيات الشعر، بأسلوب النوح، بقدر ما يؤثر في السامعين ويحدث فيهم توتراً نفسياً وعاطفياً يقودهم إلى البكاء[1].

ويحتفظ خطباء المنبر الحسيني، وجمهورُه، بلقطات فنيّة، برزت من بعض مشاهير الخطباء، ويتداولونها بينهم، ويتعاقلون تأثيرها في المستمعينَ.

وإن الحضور الجماهيري، الحاشد أيام عاشوراء يتطلب قدرة خطابية فائقة، للسيطرة على جمهورِه، وشدّه إليه. وعلى الخطيب الحسيني، أن يكون متهيّئاً لكل طارئ في أثناء خطبته، ماذا يصنع إذا انقطع التيار الكهربائي؟ وكيف يخاطب جمهوره ليبقي على حالة الإنشداد إليه؟ كيف يتصرف الخطيب إذا دخل المجلس، عالم كبير أو شخصية مرموقة جداً؟ كيف يتعامل الخطيب، مع خطيب آخر إذا حضر في مجلسه؟

غير ذلك من احتمالات، وموارد، تحتّم على خطيب المنبر الحسيني، أن يتمتّع بقدرة كبيرة، وخبرة واسعة، في فن الخطابة الحسينيّة وأصولها وتقاليدها وأعرافها.

---

(١) البعيني، حسن أمين: العادات والتقاليد في لبنان، ص ١٣٩.

ومن هنا تبرز أهمية، تتلمذ الخطيب الناشئ، على يد خطيب أستاذ متمرّس، يضع بين يديه خبرته، ويبيّن له وصاياه ونصائحه ويحكي له جوانب من تجاربه.

د- مراعاة الحكمة:

إن الحكمة، كما عرّفها البعض، من أنها «وضع الشيء في محلّه». وإذا كان كل خطيب، يحتاج إلى مراعاة الحكمة، في خطابته، فإن ذلك يبرز بصورة أوضح، وأشد، في خطابة المنبر الحسيني.

إن المنبر الحسيني، يخاطب شرائح متنوعة من المجتمع، ويحضر المنبر مستويات متباينة من الناس، كما يعقد في ظروف مكانية وزمانيّة واجتماعيّة مختلفة. ولمناسبات وأغراض كثيرة.

وعلى خطيب المنبر الحسيني، أن يكون حكيماً في خطابته، مراعياً الظروف المكانيّة والزمانيّة من جهة، وتنوّع المستمعين من جهة أخرى، وتباين مستوى تلقّيهم، من جهة ثالثة، وانسجام حديثه مع نوعيّة المناسبة من جهة رابعة...

وكأمثلة على ما ذُكر أعلاه، نورد ما يلي:

١- دُعي الخطيب المعروف الشيخ كاظم سبتي«المارّة ترجمته، في نهاية الفصل الثالث» للقراءة في منزل أحد السادة الأشراف، في النجف الأشرف، بمناسبة انتقاله إلى دار جديدة. وإذا بهذا الخطيب، رغم كل خبرته، ومعرفته، يبدأ خطبته، بمقطوعة من خطب الإمام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، وهي في ذمّ الدنيا وتبدأ بقوله: «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا

يسلم نزّالها، أحوال مختلفة وثارات متصرّفة، العيش فيها مذموم والأمن فيها معدوم...»[1] مما جعل صاحب الدار مذهولاً يضرب على فخذه، ويردد: ما هذا الافتتاح يا شيخ كاظم[2]؟؟ فهنا لم تكن الخطبة مناسبة، لمقتضى الحال، بل هي على عكسها تماماً...

٢- ومثال آخر جرى مع الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي المذكور أعلاه، حينما كان يقرأ في مجلس مختصر، ليس فيه إلا بضعة مستمعين، من طلبة إحدى المدارس الدينية في النجف. ولما مرّ الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، جلس مع أولئك الطلبة، ليشاركهم في المجلس الحسيني طلباً للثواب. ولكن الخطيب لم يراعِ ظروف مجلسه، وقلّة الموجودين، فراح يطنب في ذكر وصيّة الإمام علي لولده الحسن وشرحها، والتي تبدأ في كل مقطع بـ «بني حسن...» حتى طال وقت المحاضرة، أكثر من المعتاد. مما جعل الإمام الشيخ كاشف الغطاء، يبادر إلى ذلك الخطيب ويخاطبه: «بني حسن، أما أوصاك أبوك، أنه إذا كان في المجلس ثلاثة مستمعين، فلا تطيل الحديث عليهم؟؟»[3]. وجاء تعليق سماحة الإمام كاشف الغطاء باللفظة نفسها التي كان يستخدمها الخطيب...

٣- ذكر لي أحد أساتذة الخطباء وهو السيد عبد الزهرة الحسيني الخطيب: «أن خطيباً دعي لقراءة مجلس حسيني في منزل أحد العلماء، وكان جلّ الحضور من العلماء وطلبة العلوم الدينية، وإذا

(١) سجع الحمام في حكم الإمام، ص ٨٤.
(٢) شبر، السيد جواد: أدب الطف ٩/ ٧٤.
(٣) حسن، داخل السيد: معجم الخطباء، ١/ ٣٤.

بذلك الخطيب يتناول موضوع الخمر، ومضارها وعقوبة شاربيها.. فانبرى له أحد الحاضرين مؤنباً... وهل وجدت في مجلسنا هذا من يشرب الخمر؟؟. ألم تجد غير هذا الموضوع لتتحدث عنه؟؟ مما أربك الخطيب وأفشل المحاضرة»[1].

هذه هي أهم المؤهلات الفنيّة، التي ينبغي توافرها في خطيب المنبر الحسيني، وقد ركّزنا على تلك المؤهلات، التي يتميّز بها خطيب المنبر الحسيني، عن بقيّة الخطباء، وإن كان يشترك معهم، في المؤهلات الفنّية العامّة، التي لا بد من اتصاف الخطيب، أي خطيب بها.

ثم نأتي الآن إلى الصنف الثالث من المؤهلات، وهي:

٣- المؤهّلات الرساليّة:

إن الصنفين الأول، والثاني، من المؤهلات العلميّة والفنية، إنما يوفران شروط الخطابة الناجحة. ويمكن اعتبار ذلك طاقة، لا بد من توجيهها التوجيه الصحيح، حتى تؤتي الخطابة ثمارها ومنافعها. فتأتي المؤهلات الرساليّة، لتقوم بهذه المهمّة، وهي مؤهلات ضروريّة لكل خطيب رسالي، سواء كان خطيب منبر حسيني، أو خطيب منبر الجمعة، أو أي خطيب ملتزم بأحكام دينه وأهداف رسالته.

فهي إذن من المؤهلات المشتركة بين كل الخطباء الرساليين الملتزمين.

وقد تكون هذه المؤهلات الرساليّة مثل: الالتزام والأخلاقية والهادفيّة أكثر ضرورة في خطيب المنبر الحسيني، الذي يخاطب

(١) لقاء شخصي معالخطيب السيد عبد الزهراء الحسيني، دمشق رجب ١٤١٣هـ ١/١/١٩٩٣.

جماهير كثيرة واسعة، وينتقل إلى أماكن ودول متعددة، بما قد لا يتوافر لخطيب المسجد.

فالخطيب الرسالي، هو الذي يراعي مسائل هداية الشباب، والتزام المرأة المسلمة، والدفاع عن المظلومين.. وغيرها من الأبحاث، التي تنبع من وعي الخطيب وتقديره لحاجة المجتمع إلى موضوعاته ومنبره.

فرقٌ كبير، بين الخطيب الناجح، أي الذي يوفّر كل المؤهلات العلميّة، والثقافية والمؤهلات الفنيّة، وبين الخطيب النافع، الذي لا يكتفي بتلك المؤهلات، بل يزيد عليها، مؤهّلات رساليّة، تجعله يختار الحديث الذي يزيد في الوعي، لأنه خطيب نافع، فالخطيب النافع؛ هو الخطيب الهادف.

إن التزام الخطيب، واخلاقيته، وهادفيّته، ووعيه، أمور أساسيّة لإيجاد المنبر الهادف، الذي يغني الساحة، وينمّي درجة الوعي، ويزيد من التزامها، وتبنيها لنهج الإسلام وأحكامه.

وكما قلنا، هي مؤهلات من الواجب توافرها في كل خطيب إسلامي، ولكنها قد تكون أكثر بروزاً في خطيب المنبر الحسيني، لسعة المساحة التي يخاطبها في الأمة، وتنوّع الساحات واتساع نطاق تحرّكه.

إن شدّة ارتباط الخطيب الملتزم بالله تعالى، والتزام تقواه، والعمل من أجل مرضاته، أمور في صدارة ما ينبغي على الخطيب الملتزم، والهادف، أن يتحلى بها، ويعيش آثارها، في نفسه وسلوكه وخطابته.

إنّ حالة تقوى الله، وصدق الإنسان في التعامل مع ربّه الكريم،

وخلوص النيّة، وصفائها، من الأسس بالغة الأهمية في توفيق الخطيب، وانعكاس ذلك على شدّة تأثر الناس به، وبكلامه ومواعظه ومن ثمّ ما يذكر من مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

نعم «كم من خطيب، في مجالس ذكرى مصرع سيد الشهداء عليه السلام، يدفع الناس إلى البكاء، والرّقة بمجرد مشاهدة هيئته وسمّته، قبل أن يتكلم»[1]!

هذه هي الشروط والمؤهلات التي ينبغي حضورها، في خطيب المنبر الحسيني، وبعضها يشترك فيها مع كل خطيب، والبعض يشترك فيها مع الخطيب الإسلامي، فيما يختص خطيب المنبر الحسيني ببعضها الآخر.

وهنا نكون قد وصلنا إلى نهاية المواصفات التي ينبغي لخطيب المنبر الحسيني التوافر عليها.

(١) المظفر، محمد رضا: المنطق، ٣/٣٧٣.

الدرس الواحد والعشرون

نموذج عن مجلس حسيني

بعد أن أحطنا بموضوع المنبر الحسيني وفقراته، نريد في هذا الدرس إيراد نموذج عن مجلس حسيني يتضمن الفقرات التي تم دراستها، أملاً بمزيد من التوضيح والمتابعة...

صلى الله عليك يا رسول الله وعلى أهل بيتك الطاهرين المظلومين..

صلّى الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله[1] صلى الله عليك يا ابن رسول الله، يا باب نجاة الأمة، يا مظلوم كربلاء.

أرى العُمر في صَرف الزمان يبيد
ويذهب لكنْ ما نراه يعودُ
فكن رجلاً إن تُنضَ أثوابُ عيشهِ
رثاثاً فثوب الفخر منه جديدُ[2]
وإياك أن تشري الحياة بذلة
هي الموت والموتُ المريحُ وجودُ
وغيرُ فقيدٍ من يموتُ بعزّةٍ
وكل فتىً بالذل عاش فقيدُ

(١) أبو عبد الله: كنية الإمام الحسين بن علي.

(٢) انضى وانتضى الثواب أي أبلاه. رثّ الثوب، أي بلي، وفي البيت على بقاء المرء مرتدياً ثوب الفخر والموقف الكريم متجدداً حتى إذا بليت ثيابه الماديّة وتمزّقت.

لذلك نضا ثوبَ الحياةِ ابنُ فاطمٍ
وخاض عباب الموت وهو فريدُ[1]
ولاقى خميساً[2] يملأ الأرض زحفُه
بعزم له الشُمّ الشداد تميد
ترى لهمُ عند القراع تباشراً
كأن لهم يوم الكريهة عيدُ[3]
وما برحوا عن نصرةِ الدين والهدى
إلى أنه تفانى جمعهم وأبيدوا»[4]
لما رأى السبط أصحاب الوفا قتلوا
نادى أبا الفضل أين الفارس البطلُ
وأين من دوني الأرواح قد بذلوا
بالأمس كانو معي واليوم قد رحلوا
وخلّفوا في سويدا القلب نيراناً

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيءٍ فإن الله به عليم﴾[5].

(١) نضا الثوب نضواً: أي نزعه. وعُباب: الأمواج. بعد أن حثّ الشاعر على الحياة الكريمة، استشهد بموقف الإمام الحسين -ابن فاطم- الذي نزع رداء الحياة ومضى شهيداً رغم قلّة انصاره.

(٢) الخميس: الجيش لأنه كان مؤلفاً من خمسة أقسام: المقدمة، القلب، الجناحان، المؤخرة.

(٣) القراع: الاشتباك بالحرب والكريهة معناها: الشدة في الحرب، ومعنى البيت وهو يصف انصار الحسين بأنهم يفرحون عند القتال، او عند اختيارهم للحرب، ووقوع القرعة عليهم، وكأن الحرب لهم عيد.

(٤) الأمين، محسن: الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد، ص ١٢٧ (من قصيدة للسيد سليمان الحلي المتوفى سنة ١٢١١ هجرية).

(٥) سورة آل عمران، آية ٩١.

تعددت أوجه العبادة في الإسلام، فمنها: بدنية مثل الصلاة والصيام، ومنها: عبادة ماليّة مثل الزكاة والخمس، ومنها: عبادات تجمع بينهما مثل الحج...

وقد حثّ القرآن الكريم، الإنسان المسلم، على مسألة الإنفاق في سبيل الله، في آيات كثيرة. والإسلام لا يعتبر الإنفاق إعانة للجهة المحتاجة من فقراء وأيتام وغيرهما فقط، بل إن الإنفاق يستبطن عملية تربويّة، تسمو من خلالها نفس الإنسان، وهو يسهم في إسعاد الآخرين، ويكون من المهتمين بأمور المسلمين.

ولهذا قامت رؤية الإسلام، على أن لا تتولى الدولة الإسلاميّة، عملية الإنفاق فقط، بل يُسهم بها الإنسان المسلم، جنباً إلى جنب مع مسؤوليّة الدولة.. فينمّي حسه الأخلاقي، وحبّه للخير. فالإسلام «لا يكتفي بالحقوق التي تنظّمها القوانين، وتنفذها الحكومات، لأن هذا الجانب، في نظره ليس مجرد وسيلة، لتحقيق التكافل بين الناس، بل هو أيضاً غاية من غاياته في تربية الإنسان الصالح، الجدير برضا الله ومرافقة النبيين في جنته»[1].

ومن أجل تنمية الإحساس بإسعاد الآخرين، والمساهمة في ذلك، - وإن كانت قليلة - نجد أن الفقهاء يذكرون، استحباب أن يستخرج الفقير زكاة فطرة واحدة، - وهي التي تؤدى في نهاية شهر رمضان- ويمرّرها على جميع أفراد أسرته ثم يعطيها لفقير آخر[2].

ولو نظر الإنسان بعين الحقيقة، فإن المال الذي ينفقه هو الذي

(١) القرضاوي، يوسف: مشكة الفقر، ص١٢٩.

(٢) السيستاني، علي الحسيني: المسائل المنتخبة، ص ٢٣٤.

يبقى له، وأما ما تركه فهو لغيره فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - قوله «ما جمعت من المال فوق قوتك، فإنما أنت فيه خازن لغيرك»[1].

وهذا المعنى صاغه الشريف الرضي بقوله:

يا آمن الأيام بادر صرفها
وأعلم بأن الطالبين حثاثُ
خذ من ثرائك ما استطعت فإنما
شركاؤك الأيام والورّاث
ما كان منه فاضلاً عن قوته
فليعلمن بأنه ميراث

ولم يكتف القرآن الكريم، بالحثّ على مطلق الإنفاق، فجاءت هذه الآية المباركة لتقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[2].

نعم «إذا أعطى الإنسان، فإنه لا يختار الأشياء التي تعافها نفسه، ويكرهها طبعه فيمنحها للآخرين، لأن ذلك ليس مظهراً للعطاء، بل هو وسيلة من وسائل التخلص، من هذه الأشياء، باسم العطاء. بل يختار الأشياء التي يحبها ويريدها مما هو أثير عنده، وقريب إلى حاجاته وضروراته، فإن ذلك يحمل معنى التضحية التي يتمثل فيها روح العطاء السمح»[3].

وكم كان تفاعل المسلمين الأوائل عظيماً مع القرآن وآياته،

(١) الأبشهيني، شهاب الدين: المستطرف من كل فن مستظرف، ص ١٧٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ٩١.

(٣) فضل الله، محمد حسين: تفسير من وحي القرآن، ٩٥/٦.

وبرامجه، في تربية الإنسان وسموّه. فقد كان الصحابي أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً، وكان أحب أمواله إليه بير حاء وكانت مستقبلة المسجد. وكان النبيﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس: فلما نزلت: «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول «لن تنالوا البر..» وأن أحبّ أموالي إليّ بير حاء «وأنها لصدقة لله، أرجو بها برّها، وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبيﷺ بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح..»[1].

ولهذا «كان السلف إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله... ونقل الواحد عن مجاهد والكلبي: إن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة. وهذا في غاية البعد، لأن إيجاب الزكاة، كيف ينافي الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله سبحانه وتعالى»[2].

إن حبّ الإنسان المسلم، لله تعالى ولنيل ثوابه، يدفعه إلى مزيد من العطاء والانفاق، وأننا نسمع العرب تحثّ على الانفاق والجود والكرم كقول حاتم طي:

«فلا الجود يفني المال قبل فنائه
ولا البخل في مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمس رزقاً بعيشٍ مقترٍّ
لك غدٍ رزقاً يعود جديدُ
ألم تر آن الرزق غادٍ ورائحٌ
وأن الذي أعطاك سوف يعودُ»[3]

(١) قطب، سيد: تفسير في ظلال القرآن. ١/ ٤٢٤.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر: التفسير الكبير. ٨/ ١٣٥، ١٣٤.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر: المحاسن والأضداد، ص ٨٥.

فإذا كان هذا الإنسان قبل الإسلام يثق بعطاء الله وعوده بالخير والرزق، فكيف يكون حال الإنسان المسلم، مع عظيم ثقته بالله، ورزقه، وعطائه؟.

يقول الراغب في مفرداته: «إن لفظ نفق الشيء، مضى ونفذ.. ثم يعقّب بقوله والإنفاق قد يكون في المال، وفي غيره وقد يكون واجباً أو تطوّعاً»(١).

نعم فهناك من ينفق ماله، وهناك من ينفق من علمه، أو موقعه الاجتماعي أو الوظيفي... وكلّما كان المؤمن أشدّ حباً لله ﴿والذين آمنوا أشدّ حبّاً لله﴾(٢) كان عطاؤه أوسع، وإنفاقه متعدّد الأوجه..

فالمؤمن لا يعرف حدّاً في العطاء والبذل من أجل الله.. فإذا نال البر، من أنفق مما يحب من أمواله، فكيف لا ينال أعلى درجات البر، من لم يكتف ببذل ما يحب من أمواله بل بذل أمواله وأحبّته وأخوته ولم يبخل على الله تعالى حتى بطفله الرضيع؟

نعم هكذا وقف الحسين يوم عاشوراء وهو يقدّم الضحيّة بعد الضحيّة، والشهيد بعد الشهيد، وكلما هوى شهيد جلس عنده وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾(٣).

وكان آخر من قدّمه الإمام الحسين طفله «الرضيع عبد الله»، الذي له من العمر ستة أشهر، فلما «دعا بولده الرضيع يودّعه،

(١) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٢٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية:٢٣.

فأتته زينب بابنه عبد الله، وأمه الرباب، فأجلسه في حجره يقبّله، ويقول: بُعداً لهؤلاء إذا كان جدّك المصطفى خصمهم.. ثم أتى نحو القوم يطلب له الماء... فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهمٍ فذبحه.. فتلقى الحسين الدم بكفّه ورمى به نحو السماء!!»[1].

ودعا الأقوام ياالله من خَطْب فظيع
نبّؤني أأنا المذنبُ أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع
لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين[2]

ولنا أن نتصوّر الحال، التي كان عليها الحسين، وطفله الرضيع بين يديه، مخضباً بدمه، والسهم شاكّ في رقبته!!

مدري اشقال قلب حسين وشجان
قومه أمطرّحه ابحومة الميدان
آه.. والحرق القلب ذبحة الرضعان
اشحاله الفوق صدره انذبح طفلين[3]
ولو تراه حاملاً طفله
رأيت بدراً يحمل الفرقدا

(٢) المقرّم، عبد الرزاق: مقتل الحسين. ص ٢٧٢.

(٣) البحراني، اشيخ

(٣) دكسن، محمد حسن: الروضة الدكسينة. ص: ٤٢.

والبيتان باللهجة العراقيّة معنى البيت الأول: لا أدري ماذا قال قلب الحسين وكيف كان، وقومه وأصحابه مطرّحين في ميدان القتال. وأما البيت الثاني: وإن الذي أحرق القلب هو فقد الرضيع، فكيف بمن ذبح له طفلان على صدره..؟! في إشارة إلى رواية تفيد بأن طفلين للحسين قتلا يوم عاشوراء.

نسألك اللهم وندعوك أن تقضي حوائج المحتاجين، اللهم إشف وعاف مرضى المسلمين... المؤسسون لهذا المأتم تقبّل اللهم عملهم، إلى أرواح أمواتهم وأرواح المؤمنين والمسلمين وأرواح أموات الحاضرين رحم الله من قرأ الفاتحة مع الصلوات.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد

ملاحظات على المحاضرة

إشارات إلى بعض النقاط الواردة في هذه الخطبة.

١- البداية بالحمد والصلاة ثم لا بدّ أن تنتهي بلفظ «يا ليتنا كنا معكم «أو معهم» فنفوز فوزاً عظيما» وهو مقطع مأخوذ من حديث للإمام علي بن موسى الرضا مع أحد أصحابه حول عاشوراء ذكر في الفصل الثاني.

٢- بعدها تأتي القصيدة، التي يختارها خطيب المنبر الحسيني، منسجمة مع المناسبة، أو عامة تشمل مناسبات مختلفة، وقد يكتفي بعض خطباء المنبر الحسيني، بإنشاد بضع أبيات من قصيدة، في حين قد ينشد آخرون ما يصل إلى ثلاثين بيتاً من الشعر الرثائي. ويتدرّج الخطيب في الإنشاد مراعياً الأطوار والطرق المألوفة لدى المنبر.

٣- تبدأ المحاضرة بعنوان آية قرآنية كريمة. وقد تكون حديثاً شريفاً، أو حكمة، أو حتى بيت أو بيتان من الشعر.

٤- المحاضرة:

أ - مقدمة حول العبادات والإنفاق بالخصوص.

ب - شرح مفاهيم إسلامية حول الإنفاق من بعض المفكرين والكتّاب الإسلاميين.

ت - استشهاد بمقطوعتي شعر، تناسبان الموضوع مأخوذتان من مصادر أدبية عامة.

ث - الاستفادة من أكثر من رأي، في تفسير الآية، موضوع البحث، وسبب نزولها وغير ذلك.

ج - إشارة إلى موضوع النسخ المدّعى في الآية الكريمة، وبيان حكم شرعي في زكاة الفطرة من كتاب فقهي.

إن التنوّع في المحاضرة، يختلف من خطيب لآخر، ومن مجتمع لآخر، ويعتمد على سعة ثقافة خطيب المنبر الحسيني وغزارة معلوماته، وتجربته من جهة، وطبيعة المتلقين، والمستمعين من جهة أخرى. كلها أمور تتحكم في نوعيّة المحاضرة، وكما أن اختيار الشواهد الأدبية والتاريخية، من الأمور التي يتمايز بها الخطباء فيما بينهم، ويمكن للمحاضرة أن تأخذ أبعاداً أوسع، ومجالات أدق، ولكنها مجرد نموذج لما يطرح على المنبر.

٥- بعد أن وجد خطيب المنبر الحسيني، أن المحاضرة قد أحيط بجوانبها، أخذ يفكر بكيفيّة «التخلّص» من محاضرته، ونقل المستمعين إلى أجواء كربلاء. فهنا، يورد الخطيب مسألة يمهّد بها أذهان السامعين إلى نهاية محاضرته، فذكر تعليق الراغب الأصفهاني على اختلاف نوعية الانفاق... ثم راح الخطيب يعطي أمثلة عن الإنفاق في جوانب عدة. حتى وجد الجسر الذي يعبر

عليه، إلى أحداث عاشوراء حينما ذكر أوجه الانفاق المتعددة للإمام الحسين.

وحينما يذكر خطيب المنبر الحسيني، اسم الحسين أو لفظ كربلاء، فإن المستمع يتهيّأ نفسياً للتفاعل مع واقعة كربلاء. وهنا، وبعد أن تمّ للخطيب، نقل المستمع من المحاضرة إلى كربلاء، عليه أن يختار الآن حادثةً ما يركّز عليها، وهنا تتغير نبرات صوت الخطيب، حيث يبدو الشجوّ والحنين واضحاً، في رسم صورة تلك الحادثة. وهو يعتمد على ما تنقله كتب المقتل في ذلك. مستثمراً مستواه الأدبي والفني في تصوير الموقف. فإذا اطمأن الخطيب، إلى وصول المستمع إلى حالة التفاعل النفسي والعاطفي، سارع إلى تفجير ذلك، بكاءً، من خلال مختارات شعريّة، تناسب الحادثة تلك؛ من الشعر الفصيح والعامّي. الذي يلقى رواجاً في أوساط الناس. وتُنشد بأسلوب حزين وصوت رقيق شجيّ.. فإذا تفاعل الجمهور مع الخطيب بالبكاء، وأدرك الخطيب أن المجلس قد أخذ كفايته، فعليه أن ينهي محاضرته ببيت، يتخلّص فيه من مجلسه وتأتي فقرة الدعاء في نهاية المطاف.

هذا مجرد نموذج، لخطبة من خطب المنبر الحسيني، ومحاضراته، وفيها تتضح أهمية تنوّع ثقافة الخطيب واختياره الشواهد الأدبية المناسبة، وطبيعة المحاضرة، التي تبرز مدى إحاطة الخطيب بتفاصيل أحداث كربلاء، والتي تسهّل عملية انتقاله من موضوع بحثه، إلى فقرة «المصيبة».

وتتضح مواهب الخطيب الفنية، في تغيير نبرات الصوت، وهو يصوّر الموقف، ويناغم العواطف، بأبيات رثاء شجية يختارها من الدواوين، المختصة بهذا النوع من الشعر، وبطرق انشاد مؤثرة ومعروفة، في أوساط المنبر الحسيني.

وبهذا نأتي إلى نهاية درسنا هذا

الفهرس

مقدمة ٣

مراحل تطور المنبر الحسيني ١٠

مجالس العزاء في عصر الأئمة ٢١

تمهيد في الخطابة وخطابة المنبر الحسيني ٣١

فقرة القصيدة ٣٧

الأطوار ٤٤

هيكل القراءة الحسينية ٤٩

المحاضرة ٥٥

تطور محاضرة المنبر الحسيني ٦٠

كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني(١) ٦٧

كيفية ترتيب موضوع محاضرة المنبر الحسيني(٢) ٧٦

كيف يرتب الخطيب المجالس في عاشوراء(١) ٨٤

كيف يرتب الخطيب المجالس في عاشوراء(٢) ٩٠

المصادر التي يعتمد عليها الخطيب الحسيني ٩٩

فقرة التخلص ١٠٥

مادة الخطيب في فقرة التخلص ١١٠

فقرة المصيبة(١) ١١٧

فقرة المصيبة(٢) ١٢٥
أوصاف خطيب المنبر الحسيني ١٣٠
المؤهلات الفنية في خطيب المنبر الحسيني(١) ١٣٦
المؤهلات الفنية في خطيب المنبر الحسيني(٢) ١٤١
نموذج عن مجلس حسيني ١٤٨
الفهرس ١٥٩